جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة التعليم الجامعي الأهلي
جامعة البيان

الميسّر في اللّغة العربيّة العامّة
لأقسام غير الاختصاص

إعداد: م.م. زياد طارق شولي

سلسلة إصدارات جامعة البيان

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة التعليم الجامعي الأهلي
جامعة البيان

الميسّر في اللّغة العربيّة العامّة
لأقسام غير الاختصاص

إعداد: م.م. زياد طارق شولي

سلسلة إصدارات جامعة البيان

قال تعالى في كتابه الكريم

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٣٢٢٢ لسنة ٢٠١٧

حقوق النشر محفوظة لجامعة البيان © ٢٠١٧

albayanuni.iq
info@albayanuni.iq

المحتويات

القسم الأول قواعد الإملاء والنحو	**٩**
الهمزة في العربية	١٠
كتابة حرفي الضاد والظاء	١٧
علامات الترقيم (التنقيط)	٢٣
كتابة الألف المقصورة والممدودة	٣٢
قواعد العدد والنعت العددي	٣٤
علامات الإعراب الأصلية والفرعية	٣٩
الجملة العربية وأنواعها	٤٥
الجملة الفعلية	٤٥
الفعل الماضي	٤٥
الفعل المضارع	٤٦
فعل الأمر	٤٩
الفاعل	٥٠
النائب عن الفاعل	٥٤
الجملة الاسمية	٦٠
المبتدأ والخبر	٦٠
الأفعال الناقصة	٦٣
الحروف المشبهة بالفعل (إن وأخواتها)	٦٦
القسم الثاني الأدب العربي	٧١
تعريف الأدب وتقسيماته	٧٢
الأدب الجاهلي	٧٤
الشاعر امرؤ القيس	٨٢
الأدب الإسلامي	٨٤

الشاعر كعب بن زهير ٨٩
الأدب الأموي ٩٤
الشاعر الفرزدق ٩٨
الأدب العباسي ١٠١
الشاعر أبو العلاء المعريّ ١١٢
النقد ١١٦
القسم الثالث دراسة قرآنية ١١٩

القسم الأول
قواعد الإملاء والنحو

الهمزة في العربية

يقول أكثر علماء العربية إن الخليل بن أحمد الفراهيدي هو الذي جعل علامة للهمز، وقد كان المتقدمون يجعلون علامته نقطة صفراء ويرسمونها فوق الحرف، ويأتون معها بنقط الإعراب الدالة على السكون والحركات الثلاث بالحمرة، وسواءٌ في ذلك كانت صورة الهمزة واواً أم ياءً أم ألفاً؛ إذ حق الهمزة أن تلزم مكاناً واحداً من السطر؛ لأنها حرف من حروف المعجم. أما المتأخرون فيجعلون رسمها عيناً؛ وذلك لقرب مخرج الهمزة من العين؛ فَحيثما وقعت الهمزة وقعت العين، وسواء أكانت مُتحركة أم ساكنة، أم لحقها التنوين، أم لم يَلحقها.

لقد شاع لدى علماء العربية أن تخفيف الهمز كان لهجة قريش، وأن التحقيق لهجة تميم، وحينما أراد الخليل أن يجعل الخط العربي مطابقاً لنطق العربية الفصحى، وضع رمز الهمزة الذي نستعمله اليوم، والذي لم يكن معروفاً في الكتابة العربية من قبل، وقد اقتطع من رأس العين؛ ولذلك يسمى في بعض الأحيان (القطعة).

إن الهمزة في العربية نوعان: همزة قطع، وهمزة وصل.

أولاً: همزة القطع: هي الهمزة التي ينطق بها سواء أكانت في بدء الكلام أم في آخره، نحو قوله تعالى: {وَقَضَيْنَا **إِلَيْهِ** ذَٰلِكَ **الْأَمْرَ أَنَّ** دَابِرَ **هَٰؤُلَاءِ** مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ}.

ومواضع همزة القطع هي:

١- جميع الأسماء باستثناء عشرة، هي: (ايم، ايمن، امرؤ، امرأة، اثنان، اثنتان، اسم، ابن[1]، ابنة، ابنم)، فكل الأسماء المذكورة آنفاً تكتب أينما وردت ألفاً من دون همزة.

٢- جميع الحروف باستثناء (ال) التعريف، نحو: (إلى، أم، أو، إذا). قال الشاعر:

إذا أنتَ أكْرَمتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَهُ **وَإنْ** أنْتَ أكْرَمتَ اللّئيمَ تَمَرّدَا

٣- ماضي الأفعال الثلاثية، ومصدرها، مثل: أَكَلَ أَكْلًا، أمرَ أمرًا. نحو قوله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ **أَخْذُ** رَبِّكَ إِذَا **أَخَذَ** الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ **أَخْذَهُ** أَلِيمٌ شَدِيدٌ}.

٤- ماضي الأفعال الرباعية وجميع تصريفاتها، نحو: أعطى، أعطِ، إعطاءً. قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ **وَأَعْطَىٰ** قَلِيلًا **وَأَكْدَىٰ**}.

١. تحذف الألف من كلمة ابن إذا وقعت بين علمين، نحو: محمد بن عبد الله.

وقول الشاعر:

السَّيْفُ **أَصْدَقُ إنْبَاءً** مِنَ الكُتُبِ في حدهِ الحدُّ بينَ الجدِّ واللَّعبِ

٥- جميع الأفعال المضارعة التي فاعلها ضمير مستتر وجوباً تقديره أنا، نحو: (أدرسُ، أكتبُ، أقرأُ، أستغفر، أستيقظ). قال تعالى: {قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ **سَأَسْتَغْفِرُ** لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا **وَأَعْتَزِلُكُمْ** وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ **وَأَدْعُو** رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ **أَكُونَ** بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا}.

ويمكن أن تأتي الهمزة في أول الكلمة، أو وسطها، أو آخرها، وتكتب على ألف إن كانت مضمومة، أو مفتوحة، وتحتها إذا كانت مكسورة.

ملحوظة: إذا سُبقت الهمزة بحرف من الحروف الآتية فإنها تبقى بلا تغيير، ولا تخرجها عن أوليتها:

- الباء، نحو (**بأمرِ** الله اعملْ).
- الفاء، نحو قوله تعالى: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ **فَإِنَّكَ** بِأَعْيُنِنَاۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ}.
- الواو، نحو قول الشاعر:

وإنِّي وإنْ كنتُ الأخيرَ زمانُهُ لآتٍ بما لمْ تستطِعْهُ الأوائلُ

- السين، نحو قوله تعالى: {**سَأَسْتَغْفِرُ** لَكَ رَبِّي}.
- لام الجرّ، نحو: (المحبة **لأُمي**).

- لام القسم، نحو قول أمير المؤمنين -عليه السلام-: (وَاللَّهِ **لَأَنْ** أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً، أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ).

- لام الابتداء، نحو قوله تعالى: {قَالُوا أَإِنَّكَ **لَأَنتَ** يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِيۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَاۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}.

- ال التعريف، نحو قول الشاعر:

وَمَا انْتِفَاعُ أخي الدّنيّا بِنَاظِرِهِ إذا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ **الأنْوارُ** وَالظُّلَمُ

ثانياً: همزة الوصل: وهي همزة يتم بها الوصل للنطق بالحرف الساكن الواقع في ابتداء الكلام، وتكتب (ٱ) أو ألفاً بلا همزة، وتثبت لفظاً في حال الابتداء، أما في حال الوصل فإنها تسقط.

مواضع همزة الوصل:

١- أمر الفعل الثلاثي، نحو: اقرأ، واكتب، وافعل، قال تعالى: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ **فَانظُرْ** مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ **افْعَلْ** مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}.

٢- ماضي الفعل الخماسي والسداسي وأمرهما ومصدرهما، نحو: (اسْتَمعَ - اسْتَمِعْ - اِسْتِمَاع - استغْفرَ - استَغْفِرْ - استِغْفار)، قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ **فَاسْتَغْفَرُوا** اللَّهَ وَ**اسْتَغْفَرَ** لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا}.

٣- (ال) التعريف، نحو: المدرسة، الجامعة، قال الشاعر:

الخَيْلُ وَاللّيْلُ وَالبَيْداءُ تَعرِفُني وَالسّيفُ وَالرّمحُ والقرْطاسُ وَالقَلَمُ

٤- الأسماء العشرة الآتية: (ايم، ايمن، امرؤ، امرأة، اثنان، اثنتان، اسم، ابن، ابنة، ابنم).

التفريق بين همزتي القطع والوصل:

هناك طريقة يسيرة للتفريق بين همزتي القطع والوصل، قم بإدخال حرف الفاء أو الواو قبل الهمزة فإذا نطقتها كانت همزة قطع، وإذا اختفت بالنطق كانت همزة وصل، نحو:

الهمزة في «إذا» هي همزة قطع لأنه بنطق «فإذا» يظهر لفظ الهمزة.

الهمزة في ''اِعْمَلْ'' -فعل الأمر من عَمِلَ- هي همزة وصل لأنه بنطق ''واعمل'' لا يظهر لفظ الهمزة.

الهمزة في أول الكلمة:

أ- تكتب على الألف في حالة الضم أو الفتح، نحو: أحمد - أُكرم، وتكتب تحت الألف في حالة الكسر، نحو: إكرام.

ب- إذا جاءت بعد الهمزة المفتوحة في أول الكلمة همزة ساكنة تكتب الهمزة ألفاً ممدودة، نحو:

آمن، الأصل فيها أَأْمن، نحو قوله تعالى: {**آمَنَ** الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ **آمَنَ** بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ}.

ج- همزة الاستفهام تجعل الهمزة الأولى من الكلمة متوسطة، وتطبق عليها قواعد الهمزة المتوسطة التي سنتعرف عليها تباعاً، نحو: أؤُسأل عما أفعل؟

الهمزة المتوسطة:

مقدمة:

(أقوى الحركات الكسر، ثم الضم، ثم الفتح، ثم السكون؛ كونها ليست حركة).

وحينما تنظر إلى حركة الهمزة تعرف أمراً هو إن كانت الحركة التي قبلها وحركتها والحركة التي بعدها أقوى منها، فإنك تعمل بالأقوى:

١- فإذا جاءت الهمزة مكسورة، مثلاً: «حائِل» فإنها تكتب على الياء (الكرسي)، وإذا جاءت ساكنة وما قبلها مكسور فإنها تكتب أيضاً على الياء، مثلاً: «جِئْت».

٢- إذا جاءت الهمزة مضمومة، مثلا: «يؤُم» فإنها تكتب على واو، وإذا جاءت ساكنة وما قبلها مضموم فإنها تكتب أيضاً على واو، مثلاً: « يُؤْتِي».

٣- إذا جاءت الهمزة مفتوحة، مثلاً: «وَأَدَ»، فإنها تكتب على ألف، وإذا جاءت ساكنة وما قبلها مفتوح، فإنها تكتب أيضاً على ألف، مثلاً: «يَأْلَف».

٤- إذا تشابهت الحركتان فاكتبْ الهمزة المتوسطة على حرف يناسب الحركة المشابهة، نحو ''مِئين، شُؤون، سَأَل''.

لرسم الهمزة المتوسطة أربع حالات هي:

أولاً: تكتب مفردة على السطر، في الحالتين الآتيتين:

- إذا كانت مفتوحة وما قبلها ألف، نحو: قراءَة، براءَة، وتفاءل، وتشاءم، قال تعالى: {**بَرَاءَةٌ** مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ}، وقال -رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم-: (**تَفَاءَلُوا** بِالخَيْرِ تَجِدُوهُ).

- إذا وقعت الهمزة المتوسطة المفتوحة بعد واو ساكنة، نحو: توْءَم، سمؤَل، مقروءَة، قال أمير

المؤمنين –عليه السلام–:

لِلَّـهِ دَرُّ فـتًـى أنـسـابـــهُ كَرَمٌ يا حبَّذا كرمٌ أضحى له نسبا

هـل **المـــروءَةُ** إِلَّا مـا تـقُـومُ به من الذِّمامِ وحفظِ الجَارِ إنْ عَتَبَا

ثانياً: تكتب الهمزة المتوسطة على الألف في الحالات الآتية:

–إذا كانت مفتوحة وما قبلها مفتوح، نحو: سَأَلَ، تَأَخر، قال الشاعر:

سَأَلْتُ الدَّارَ تُخْبِرُنِي عَنِ الأَحْبَابِ مَا فَعَلُوا فَقَالَتْ لِي أَنَاخَ الْقَوْمُ أَيَّامًا وَقَدْ رَحَلُوا

– إذا كانت مفتوحة وما قبلها حرف صحيح ساكن، نحو: مسْأَلة، واسْأَل، وجاء في أحد الأقوال المأثورة: (**الجرْأَةُ** فضيلةٌ إذا كانت في الحقّ).

–إذا كانت ساكنة وما قبلها مفتوح، نحو: فَأْس، ورَأْي، وشَأْن، قال أمير المؤمنين –عليه السلام–: (لَا **رَأْيَ** لِمَنْ لَا يُطَاعُ).

ثالثاً: تكتب الهمزة على الواو في الحلات الآتية:

– تكتب على الواو، إذا كانت مضمومة وما قبلها ساكن صحيح، نحو: مَسْؤُول، وحياة المجدين **ملْؤها** نجاح.

– إذا كانت مضمومة وما قبلها ألف، نحو قوله تعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا **فَجَزَاؤُهُ** جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا}.

– إذا كانت مضمومة وما قبلها مفتوح، نحو: يؤْمُ، مَؤونة.

– إذا كانت مضمومة وما قبلها مضموم، نحو، شُؤُون.

– إذا كانت ساكنة وما قبلها مضموم، نحو: رُؤْية، وقولنا: الكتابُ خيرُ **مُؤْنسٍ** لصاحبه.

–إذا كانت مفتوحة وما قبلها مضموم، نحو: سُؤَال، ونحو قوله تعالى: {رَبَّنَا لَا **تُؤَاخِذْنَا** إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}.

رابعاً: تكتب الهمزة على الياء (الكرسي) في الحالات الآتية:

– إذا كانت مكسورة، نحو: طائِر، ثائِر، جائِر، سُئِل، قال الشاعر:

أمر السلطان بالشاعر يوما فأتاه في كساء **حائِل** الصّبغة واه جانباه

– إذا وقعت بعد كسر، نحو: السَيِّئَة، بِئْسَ، ونحو قوله تعالى: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ **فِئَةٍ** يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ}.

– إذا وقعت بعد ياء مد، نحو: مشِيئْة، خطيْئة، الحطيْئة، قال تعالى: {وَمَنْ يَكْسِبْ **خَطِيئَةً** أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}.

الهمزة في آخر الكلمة (المتطرفة)

لرسم الهمزة المتطرفة عدة حالات ولكل منها تتأثر بالحرف الذي يسبقها، وهي على النحو الآتي:

١– تكتب على الألف إذا سبقت بفتح، نحو: ملجَأ، منشَأ، فاجَأ، (اَللَّهُ الْغالِبُ وَلا **مَلْجَأَ** مِنْهُ لِهارِبٍ).

٢– تكتب على الواو إذا سبقت بضم، نحو: تباطُؤ، يجرُؤ.

٣– تكتب على الياء إذا سبقت بكسر، نحو: موانِئ، ومبادِئ، وقارِئ.

٤– تكتب على السطر إذا سبقت بحرف ساكن، نحو: دفْء، سوْء، شَيْء، مَاْء، ويُستثنى من ذلك إذا كانت (منصوبة منونة بعد ساكن يمكن اتصالها به) فإنها تكتب على (ياء) مثل: «عبئًا كبيرًا»، ونحو قوله تعالى: {هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن **شَيْئًا** مَّذْكُورًا}.

٥– تكتب على السطر إذا سبقت بحرف من حروف المد: لجُوْء، نشوْء.

٦– إذا لحق الهمزة المتطرفة تنوين نصب فإنها تكتب كما يأتي:

– إذا سبقت بساكن غير الألف كتبت على ألف تنوين منفصلة إذا لم يكن اتصالها بما قبل الهمزة، نحو: جزء – جزءاً، وعلى الياء إذا أمكن اتصالها بما قبل الهمزة: نحو: شيء – شيئاً، وعبء – عبئاً.

– إذا سبقت بألف لا حاجة لإضافة ألف التنوين: سماءً، وعاءً، ابتداءً، فلا يصح أن نكتب: سماءاً.

تمرينات

أولاً: عَيِّن مواضع الهمزات في الكلمات الآتية، واذكر سبب كتابة الهمزة بالصورة المكتوبة بها:

(سَأَلَ، سُئِلَ، سَئِمَ، تَأْديب، ملْء، أَثناء، تهْنِئَة، نَصائِح، مَقروءَة، يَقْرَأْ، مَبادِئ، مُفاجَأَة، أَنْحاء، مَلْجَأ، قَبائِل، جَريئَة، بيئَة، سَماء، هيئات، كِساء).

ثانياً: اكتب النص الآتي، ثم ضع خطاً تحت كل خَطَأ ثم صححه مع ذكر السبب.

في ظهر يوم من أيام الشتاء، أرسلت الشمس أشعتها لتملأ الكون بالدفْءِ، فذهبت إلى بستان، وأخذت أتنقل فيه بتباطُءٍ وهدوءٍ، لأجلو صَدَءَ التعب، وأستريح من عبءِ العمل. وما هي إلا لحظات حتى امتلأت السماء بالغيوم، وأخذت قطرات من المطر تتساقط ببطْأ كأنها حبات من اللؤلؤ، فأسرعت إلى منزلي لألتجأَ إليه، ثم تناولت قليلا من شراب دافِءٍ، اِتَّكأْت على مقعد أمام المدفَأَة لأقرأ في كتاب. وبعد البدْءِ بقليل بدَءَ النعاس يغلب أجفاني وشعرت بحاجة شديدة إلى نوم عميق وهادِءٍ.

ثالثاً: صحح رسم الهمزة في الكلمات الآتية مع ذكر السبب.

مُوَاأَمة	رَدِيْأة	مُآمرة	مَئَاخذ
مُؤذنٌ	ءَاْمِرٌ	سَأْوْل	سَمَوْأَل
سأْءِر	جَيْأل	بِأر	رَءِيس
جَئْشٌ	خبْأٌ	قرَءَاْ	مفاجَئَاْت
بَرأ	جَرُأَ	رَءَفَ	يُرْجِأ
مَلْجَأَنا	ينْءَاْ	ءِسراءاً	رَءْفَةٌ

كتابة حرفي الضاد والظاء

يخلط كثير من الناس بين حرفي الضاد (ض) والظاء (ظ) نطقاً وكتابةً، ويعجز بعضهم عن التفريق بينهما، على الرغم من اختلافهما نطقاً وكتابةً، وقد تناول المتقدمون من العلماء هذين الحرفين في مظانّ كتبهم ورسائلهم، ولاسيما في الأمور التي تخص القرآن الكريم، إذ إن عدم التفريق بينهما قد يغيّر المعنى إلى معنى آخر، قال ابن الجزري: «منهُم مَن يَجعلُه ظاءً مطلقًا لأنَّه يشارك الظاء في صفاتها كلها ويزيد عليها بالاستطالة –فلولا الاستِطالةُ واختلافُ المخْرَجَيْنِ لكانتْ ظاءً– وهم أكثرُ الشاميّين وبعضُ أهل المشرق، وهذا لا يجوز في كلام الله تعالى، إذ لو قلنا (الضَّالّين) بالظَّاء كان معناه: الدائمين، وهذا خلافُ مُرادِ الله تعالى، وهو مبطل للصلاة؛ لأنَّ الضَّلال بالضاد، هو ضِدُّ الهُدَى كقوله تعالى: {ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ} و{وَلا الضَّالّينَ} ونحوه، وبالظَّاء هو الدَّوام كقوله تعالى: {ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا}؛ فمثل الذي يجعل الضادَ ظاءً في هذا وشبْهِه كالذَّي يبْدِل السين صادًا في نَحو قولِه تعالى: {وَأَسَرُّوا النَّجْوَى} و{وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبرُوا}، فالأول من السر والثاني من الإصرار».

ولمعرفة التفريق بين حرفي الضاد والظاء علينا اتباع ما يأتي:

١– يجب أن نتدرب على نطق حرف الضاد (ض) نطقاً صحيحاً، إذ إن هذا الحرف يخرج من إحدى حافتي اللسان مما يلي الأضراس، نحو: (بيض، فرض، قرض، ضيق، قبض).

أما الظاء (ظ) فتخرج من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا ونجد أن اللسان يخرج قليلاً عند النطق بالظاء (ظ)، نحو: (الظهر، العظيم، الظمأ، الأنظار، الظفر، حفظ، الظن، الوعظ، المحظور، غليظ، اللفظ).

والجدير بالذكر أن حرف الضَّاد أصعب الحروف وأشدُّها على اللسان، ولا يُوجَد هذا الحرف في أيّ لغةٍ أخرى غير العربية.

إذن: تمتاز الضاد عن الظَّاء بِمخرجها، وكذلك بصفة الاستطالة فيها؛ ولذلك يعد حرف الضَّاد من ضمن الحروف القويَّة في الجهر؛ لاجتماع صفات القوة فيه؛ وعلى ذلك ففي نطق الضاد لا بد من أن يكون الاعتماد قويًّا على المخرج بِما يتلاءَمُ وما في الضَّاد من قوَّة الجَهْرِ وانْحباس النَّفس.

٢– الاعتماد على الذاكرة في التفريق بين الضاد القريبة من الدال والظاء القريبة من الذال المفخمة والتي تنطق زايًا أحيانًا.

٣- ومن أفضل الطرائق للتفرقة بين الحرفين في الكلمات المشكوك فيها أن تعود بالكلمة إلى تصريفاتها اللغوية الأصلية، أي: باشتقاقاتها، نحو: الظالمون من ظَلَمَ - يظلم، ضابط من ضبط - يضبط وهكذا.

٤- إذا التبست الطرائق المذكورة آنفاً هناك طريقة أخرى هي إحصاء الكلمات التي تشتمل على حرف (الظاء)؛ كون المواد التي فيها هذا الحرف أقل من المواد التي تكتب (بالضاد)، وسنذكرها مع بعض المعاني الدالة عليها، مع ذكر الكلمات التي يشترك فيها الحرفان ومعرفة تغيّر معناها على الحروف الهجائية:

حرف (الباء)

بظَّ: بظَّ العود: حرّك أوتاره وأعده للضرب.

أما البضُّ فالجسد الرقيق.

بهظ: تعب، ومنه أسعار باهظة، أي: لا تُطاق.

بَيْظٌ: للنمل خاصة. أما البيض فهو لما سواه.

حرف (الجيم)

جحظ: الجحوظ: نتوء حدقة العين، والجاحظ هو أبو عثمان عمرو بن بحر من أئمة الأدب العربي، سمّي كذلك لجحوظ عينه.

حرف (الحاء)

الحظّ: النصيب. أما الحضّ: فمعناه الحثُّ على الشيء.

والمحظوظ: صاحب الحظ. أما الحضيض فهو أسفل الجبل.

الحظر: المنع، حظر الشيء: منعه.

أما حضر، فهو نقيض غاب.

الحظيرة: الخُوص من القصب لحبس الغنم. أما الحضيرة فهي جماعة القوم من أربعة إلى عشرة، وحضيرة من الجيش: مقدمته.

حفظ الكتاب: استظهره، وحفظه من الضياع.

الحفيظة: الحمية

التحفُّظ: التيقظ وقلة الغفلة.

الحافظة: قوة الذاكرة، ومحفظة النقود، حقيبتها، والمحفوظات: ما يحفظ من الشعر أو النثر.

الحُظوة: الرفعة.

الحنظل: نبات معروف بمرارته الشديدة.

حرف (الشين)

الشظية: قطعة من الخشب، وشظايا القنابل: أجزاؤها.

الشظف: خشونة العيش.

الشواظ: لهيب النار وحرّ الشمس.

حرف (الظاء)

الظِئْر: التي ترضع ولد غيرها.

الظبة: حدّ السيف.

الظرف: الوعاء.

الظرافة: الذكاء وحلاوة المنطق.

الظعن: الرحيل

الظعينة: المرأة ما دامت في الهودج.

الظِّفْر: معروف للإنسان وغيره.

الظَّفَر: الفوز والغلبة. أما ضفر الشعر: نسجه بعضه على بعض، والضفيرة معروفة.

الظل: الفيء، وظل: دام وبقي. وأما ضل: فتاه، وضاع.

الظلم: الجور، ووضع الشيء في غير موضعه.

الظلام: ذهاب الضوء، والعتمة.

الظمأ: العطش.

الظنّ: الشك. وأما الضنّ –بالضاد– فهو البخل.

الظُّهُر: الوقت المعلوم، أي: ساعة الزوال.

الظَّهْر: معروف للإنسان وغيره ضد البطن.

تظاهروا: تدابروا وتعاونوا.

حرف (العين)

العَظْم: قصب الحيوان الذي عليه اللحم.

العَظَمة: الكبرياء.

عَظّمَ فلاناً: كبّره وفخّمه.

عظته الأيام: علمته. وأما العضُّ بالأسنان فالبضاد.

عُكاظ: سوق مشهورة في الجاهلية.

حرف (الغين)

الغِلظة: ضدَّ الرقة.

الغَيْظ: الغضب. أما غاض الماض بالضاد فنقص.

حرف (الفاء)

الفظاظة: القوة.

فاظ: مات، وفاض الماء بالضاد: زاد وسال، ومنه الفيضان.

الفظاعة: الشناعة.

حرف (القاف)

التقريظ: المدح.

القيظ: صميمُ الصيف، شِدَّة الحَرّ.

حرف (الكاف)

الكَظّ: شدة الحرب.

حرف (اللام)

اللظى: النار أو لهبها.

لظى: اسم جنهم.

الحظ: النظر بمؤخر العين.

لفظَ: رمى: وبالكلام نطق.

لمظ: حرّك شفتيه لابتلاع ما علق بالأسنان.

حرف (الميم)

المرظ: الجوع الشديد. أما المرض بالضاد فهو الداء.

حرف (النون)

النَظم: التأليف. والنظام: كل خيط ينظم به الؤلؤ وغيره.

النظافة: النقاوة.

النظير: المثيل. وأما النضرة بالضاد فهي بمعنى الحُسن، والنضار: الذهب.

تناظر: تقابل.

الناظرة: العين. والنَضِرة: الجميلة.

حرف (الواو)

الوعظ: الترغيب.

التوظيف: تعيين الوظيفة.

الموظبة: الدوام على الشيء.

حرف (الياء)

اليقظة: التنبه، والصَحْوَة، وهي عكس غفلة، أَو خلافُ النوم.

أمثلة:

- قال تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا}.
- قال تعالى: {ثُمَّ أَورَثنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصطَفَينَا مِن عِبَادِنَا فَمِنهُم ظَالِمٌ لِنَفسِهِ وَمِنهُم مُقتَصِدٌ وَمِنهُم سَابِقٌ بِالخَيرَاتِ بِإِذنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الفَضلُ الكَبِيرُ}.
- قال تعالى: {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا}.
- قال تعالى: {مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا}.
- قال الشاعر:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تشْربْ مِراراً علَى الْقذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

علامات الترقيم (التنقيط)

الترقيم في الكتابة العربية هو وضع رموز اصطلاحية معينة بين الكلمات أو الجمل في أثناء الكتابة؛ لتعيين مواقع الفصل والوقف والابتداء، وأنواع النبرات الصوتية، والأغراض الكلامية؛ تيسيراً لعملية الإفهام من جانب الكاتب في أثناء الكتابة، وعملية الفهم على القارئ في أثناء القراءة. وقد بدأ العرب باستخدامها قبل حوالي مئة عام بعد أن نُقلت عن اللغات الأخرى، وقد تم إضافة ما استجد من علامات، وإشارات فيما بعد.

وعلامات الترقيم الرئيسة في الكتابة العربية، هي:

- الفاصلة، ويطلق عليها أيضاً الفارزة، والشولة (،).
- الفاصلة المنقوطة (؛).
- النقطة (.).
- النقطتان (:).
- الشرطة (-).
- الشرطتان (—)
- الشرطة السفلية (_).
- علامة الاستفهام (؟).
- علامة التأثر، أو التعجب (!)
- علامة الحذف (...).
- علامة التنصيص (« »).
- القوسان (( )).
- القوسان المستطيلان [ ].
- القوسان المزخرفان ({ }).
- الأقواس المثلثة < >.

- الإشارة المائلة (/).
- الإشارة المائلة المعاكسة (\).

ويمكن إجمال أهمية علامات الترقيم في النقاط الآتية:

١. أنها تسهل الفهم على القارئ، وتجود إدراكه للمعاني، وتفسر المقاصد، وتوضح التراكيب في أثناء القراءة:

يتضح هذا من خلال المثال التالي:

- ما أجمل السماء.
- ما أجمل السماء!
- ما أحسن السماء؟

فهذه الجمل الثلاث مختلفة في المعنى، لا متكررة، على الرغم من أنها بدت في الظاهر جملة واحدة مكررة ومكونة من الكلمات الثلاث نفسها؛ فالنقطة جعلت الجملة الأولى جملة خبرية منفية بـ (ما) النافية، وعلامة التأثر جعلت الجملة الثانية جملة تعجبية و(ما) تعجبية بمعنى شيء، وعلامة الاستفهام جعلت الجملة الثالثة جملة استفهامية، وما اسم استفهام.

٢. تعرفنا بمواقع فصل الجمل، وتقسيم العبارات، والوقوف على المواضع التي يجب السكوت عندها؛ فتحسن الإلقاء وتجوده.

٣. تسهل القراءة، فتجنب القارئ هدر الوقت بين تردد النظر، وبين اشتغال الذهن في تفهم عبارات كان من أيسر الأمور إدراك معانيها، لو كانت تقاسيمها وأجزاؤها مفصولة أو موصولة بعلامات تبين أغراضها، وتوضح مراميها. فالزمن الذي يحتاجه القارئ لفهم النص المرقوم أقصر بكثير من الزمن الذي تتطلبه قراءة النص غير المرقوم.

٤. أنها في تصور الكاتب، مثل الحركات اليدوية، والانفعالات النفسية، والنبرات الصوتية التي يستخدمها المتحدث أثناء كلامه؛ ليضيف إليه دقة التعبير وصدق الدلالة. فهي تشبه الحركات الجسمية والنبرات الصوتية التي توجه دلالة الخطاب الشفوي. كما أنها تشبه إشارات المرور في تنظيم حركة السير، وللوحات الإرشادية المكتوبة على الطرقات، التي لولاها لضل كثير من سالكي تلك الطرق.

٥. تنظم الموضوع، وتجمل لغته، وتحسن عرضه؛ فيظهر في جمالية خاصة تريح القراء، وتدفعهم إلى

القراءة والاستمتاع بها.

وسنتناول في أدناء أهم علامات الترقيم وأكثرها استعمالاً:

١– الفاصلة (،):

– تكتب الفاصلة في النص العربي هكذا (،) وليس تلك المستخدمة في النص اللاتيني غير المتوافقة مع النص العربي (,)؛ وتكتب الفاصلة ملاصقة للكلمة التي تسبقها مباشرة من دون فراغات.

– مثال استخدام صحيح: أحب الشعر، والقصص.

– من الخطأ القول: أحب الشعر ، والقصص.

وهذا ينطبق على إشارات كثيرة موضحة في أدناه.

مواضع استعمال الفاصلة:

أ– بين الجمل التي يتكون من مجموعها كلام تام الفائدة في معنى معين، نحو:

– إن محمداً طالب مهذب، لا يؤذي أحداً، ولا يكذب في كلامه، ولا يقصر في دروسه.

– الخطبة كلام يلقى على جمهور من الناس؛ بهدف الإقناع والتاثر، وحث الناس على الالتزام بقضية معينة.

ب– بين الجمل القصيرة المعطوفة المستقلة في معانيها، نحو:

– الصدق فضيلة، والكذب رذيلة، والحسد منقصة وعجز.

– الدنيا خير كتاب، والزمان خير معلم.

ج– بين الجمل الصغرى أو أشباه الجمل، بدلاً من حرف العطف، نحو:

– سافر أخي، ابتعدت به السفينة، حزنت كثيراً.

– عند النهر، فوق الرابية، تحت سماء صافية، انتشر قطيع الغنم.

د– بين أنواع الشيء أو أقسامه، نحو:

– فصول السنة أربعة: الربيع، والصيف، والخريف، والشتاء.

هـ– بعد لفظ المنادى المتصل، نحو:

- يا أحمد، اجتهد في دروسك.

و- بين الشرط وجوابه إذا كانت جملة الشرط طويلة، مثل:

- إذا كنت في كل الأمور تعاتب أصدقاءك، فلن يبقى لك صديق.

ز- بين القسم وجوابه، مثل:

- والله الذي خلق السموات والأرض، لأجتهدن.

ح- بعد كلمة أو عبارة تمهد لجملة رئيسة، نحو:

- أخيراً، استلمنا نتائجنا.

٢- الفاصلة المنقوطة (؛):

تكتب ملاصقة للكلمة التي تسبقها ولا يترك فراغات بينهما، وتسمى «الفصلة المنقوطة»، و«الشولة المنقوطة»، و«القاطعة»، وتوضع بين الجمل التي بينها قوة في الترابط أو ترابطها غير لازم، ويقف القارئ عندها وقفة أطول قليلاً من وقفته عند الفاصلة، وأقصر من وقفته عند النقطة.

أشهر مواضع استعمالها:

أ- بين جملتين تكون ثانيتهما مسببة عن الأولى أو نتيجة لها، نحو:

- لا تصاحب شريراً؛ لأن صحبة الأشرار تردي.

- الطالب اجتهد في مذاكرته؛ فكان الأول على رفاقه.

ب- بين جملتين تكون ثانيتهما سبباً في الأولى، مثل:

- احترس من الإهمال؛ حتى لا يتفوق عليك غيرك.

جـ- بين جمل طويلة، يتألف من مجموعها كلام تام الفائدة، فيكون الغرض من وضعها إمكان التنفس بين الجمل، وتجنب الخلط بينها بسبب تباعدها، مثل:

- ليست المشكلة في المدارس نابعة من جفاف المناهج، أو تدني مستوى الطلبة، أو طول اليوم الدراسي؛ وإنما المشكلة في عدم الدافعية من الطلبة للدراسة.

د- بين جملتين تامتين إذا جمعت بينهما أداة ربط، مثل:

- الإنسان العاقل يأكل خبزه بعرق جبينه؛ أما الجاهل فيعيش عالة على الآخرين.

٣- النقطة (.):

تكتب ملاصقة للكلمة التي تسبقها ولا يترك فراغات بينهما، وتسمى «الوقفة»، ويوقف عندها وقفة تامة، وهي توضع في المواضع الآتية:

أ- بعد نهاية الجملة التامة المعنى، ولا كلام بعدها، ولا تحمل معنى التعجب أو الاستفهام، نحو:

- خير الكلام ما قلَّ ودلَّ.

- آمنت بالله.

ب- بعد نهاية الجملة أو الجمل التي تم معناها في الكلام، واستوفت كل مقوماتها، وحينها يلاحظ أن الجملة تعطي معنى جديداً وإعراباً مستقلا، غير ما عرضته الجملة أو الجمل السابقة، مثل:

- طلع الصباح. آمل أن يكون هذا النهار مباركاً.

- قال الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام-: «أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره. وحد الحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب. وأسباب الحلم الباعثة على ضبط النفس كثيرة، لا تعجز المرء».

ج- في نهاية الفقرة، مثل:

- المعلقات: قصائد مختارة من أجود الشعر الجاهلي، وتسمى المطولات والمذهبات، وقد ذكر ابن عبد ربه أن العرب قد كتبتها بالذهب، وعلقتها على الكعبة.

د- بين الحروف المرموز بها للاختصار، مثل:

- مؤلف قصيدة الأرض اليباب هو الشاعر الإنجليزي ت. س. إليوت.

- ق. م (قبل الميلاد).

٤- النقطتان الرأسيتان (:):

تكتب ملاصقة للكلمة التي تسبقها ولا يترك فراغات بينهما، وتسميان علامة التوضيح والحكاية، أو نقطتي التفسير والبيان؛ أي: أنهما تستعملان في سياق التوضيح عموماً. من مواضع استعمالهما:

أ- بعد القول أو ما هو في معناه (حكى، حدث، أخبر، سأل، أجاب، روى، تكلم...)، نحو:

- قال أحد الحكماء: العلم أكثر من أن يؤتى به؛ فتخير من كل شيء أحسنه.

- سألته: من أين لك هذا؟ فأجاب: من أبي.

ب- بين الشيء وأنواعه، أو أقسامه، نحو:

- أيام الدهر ثلاثة: يوم مضى لا يعود إليك، ويوم أنت فيه لا يدوم عليك، ويوم مستقبل لا تدري ما حاله.

ج- قبل الأمثلة التي تساق لتوضيح قاعدة، أو حكم، وغالبا ما تستخدم النقطتان في هذه الحالة بعد كلمتي «مثل»، أو «نحو»، أو قبل الكاف، نحو:

- أنعم الله على الإنسان بنعم كثيرة: العينين، واليدين، والرجلين، وغير ذلك.

- تحذف نون المثنى عند إضافته، نحو: يدا الزرافة أطول من رجليها.

د- بعد الصيغ المختومة بألفاظ: «التالية»، «الآتية»، «ما يأتي»، أو ما يشبهها، نحو:

- هذه نصيحتي إليكم تتلخص فيما يأتي: لا تستمعوا إلى مقالة السوء، ولا تجروا وراء الإشاعات، ولتكن ألسنتكم من وراء عقولكم.

- أجب عما يأتي: من أنت؟ وكيف جئت إلى هنا؟ وماذا تريد؟

هـ- قبل شرح معاني المفردات والعبارات؟ لتفصل بين المفردات أوالعبارات ومعانيها، نحو:

- الفعل: لفظ يدل على معنى في ذاته، وغير مقترن بزمن.

٥- الشرطة (-):

وتسمى «الوصلة» و«المعترضة». وتستعمل -غالباً- في أول الجملة الاعتراضية (أو العارضة) وآخرها، وتقع جملة الاعتراض بين متلازمين أو متصلين، كالمبتدأ والخبر، والفعل ومفعوله، ويؤتى بها للدعاء، أو الاحتراس، أو التنزيه، أو ما شابه ذلك، نحو:

- الصادق -وإن كان فقيراً- محبوب

- في التأني -هداك الله- السلامة.

٦– علامة الاستفهام (؟):

تستعمل علامة الاستفهام في المواضع الآتية:

أ– توضع بعد الجملة الاستفهامية، سواء أكانت أداة الاستفهام مذكورة في الجملة، أم محذوفة:

فمثال المذكورة

– أيكما الفائز بالجائزة؟ متى عدت من السفر؟

ومثال المحذوفة:

– تأتي من سفرك ولا تخرج من بيتك؟ (أي: أتأتي من سفرك ولا تخرج من بيتك؟).

ب– حين الشك في معلومة أو عدم التأكد من صدقها، نحو:

– لا نعرف على وجه اليقين تأريخ وفاة الخليل بن أحمد: هل توفي سنة مئة وسبعين للهجرة؟ أو أنه توفي عام خمس وسبعين ومئة؟ أو كانت وفاته سنة ثمانين ومئة؟ سنحاول عرض الروايات المختلفة.

٧– علامة التعجب (!):

وتسمى أيضاً علامة التأثر، وعلامة الانفعال، وتوضع بعد الجمل التي تعبّر عن الانفعالات النفسية، في المواضع الآتية:

أ– التعجب، نحو:

– ما أقسى ظلم القريب!

– لله دره من شاعر!

ب– الفرح، نحو:

– وا فرحتاه!

ج– الحزن، نحو:

– وا حسرتاه!

د– الدهشة، نحو:

– يا لجمال الخضرة فوق الربا!

هـ- التحذير، نحو:

- إياك والمراوغة!

٨- علامة الحذف (...):

وتسمى أيضا «نقط الاختصار»، أو «نقط الإضمار». وهي ثلاث نقط (لا أقل ولا أكثر)، وتستخدم ملاصقة للكلمة التي سبقتها، في الحالات الآتية:

أ- حينما ينقل الكاتب جملة أو فقرة أو أكثر من كلام غيره؛ للاستشهاد بها في تقرير حكم، أو في مناقشة فكرة، قد يجد الموقف يشير إلى الاكتفاء ببعض هذا الكلام المنقول، والاستغناء عن بعضه، مما لا يتصل اتصالاً وثيقاً بحاجة الكاتب، فيحذف ما يستغني عنه، ويكتب بدل المحذوف علامة الحذف؛ لتدل القارئ على أن الكاتب المقتبس أمين في النقل، ولم يبتر الكلام المنقول، نحو:

- «فكرة الإحسان في الإسلام فكرة واسعة الأفق، تشمل كل خير يقدم للناس: كإعانتهم في أمورهم، أو نهيهم عن ارتكاب المعاصي، أو هدايتهم للطريق الصحيح... كل هذا إحسان، بل إن معاملة الحيوان برفق؛ إحسان وصدقة كذلك».

ب- للدلالة على الإيجاز والاختصار، نحو:

- قرأت روايات نجيب محفوظ كلها: خان الخليلي، والسكرية، واللص والكلاب...

ج- توضع عوضاً عن الكلام الذي يستقبح ذكره، نحو:

- تملكني الحزن والأسى حين سمعت هذين الرجلين يتشاتمان، ويتبادلان أنواع السباب، فيقول أحدهما... ويقول الآخر...

٩- علامة التنصيص (« »):

يطلق عليها «علامة الاقتباس»، أو «المزدوجتان»، وهي تستخدم في المواضع الآتية:

أ- توضع بينها العبارات المقتبسة بنصها من كلام الآخرين، والموضوعة في سياق كلام الناقل؛ تمييزا للكلام المقتبس عن كلام الناقل، نحو:

- التواضع من أمهات الفضائل؛ دعا إليه الأنبياء والحكماء، وقيل فيه كلام كثير. ومما قيل فيه كلمة لعباس محمود العقاد: «التواضع نفاق مرذول، إذا أخفيت به ما لا يخفى من حسناتك توسلاً إلى كسب الثناء».

ب- توضع بينها العبارات والمصطلحات التي تأتي بعد القول كالسؤال، والتسمية، والجواب، والنداء، وما إلى ذلك.

- قال لي: «خير لك أن تلتزم السكوت».

- جاء في الحديث: «إذا لم تستحِ، فاصنع ما شئت».

١٠- القوسان الهلاليان ( ):

يوضع بينهما الجمل والألفاظ التي ليست من الأركان الأساسية للكلام، وهي:

أ. ألفاظ التفسير والإيضاح والتحديد، نحو:

- دخلت ثاني الحرمين (المسجد النبوي) وصليت فيه.

- إن اللغة العربية (وهي من أوسع اللغات انتشاراً) قد اتسع صدرها لجميع العلوم والمعارف في أيام العناية بها.

ب- ألفاظ الاحتراس، منعا للبس، نحو:

- الذمام (بالذال المكسورة) العهد، والزمام (بالزين المكسورة) ما تقاد به الدابة.

ج- الأرقام والتواريخ، نحو:

- الرقم (١٠٠) يكتب مئة.

- ابن سلّام الجمحي (ت ٢٣١هـ) صاحب كتاب (طبقات فحول الشعراء).

كتابة الألف المقصورة والممدودة في آخر الكلمة

تقسم الألف على قسمين:

الأولى: الألف اللينة المتوسطة: تكتب في وسط الكلمة، وتكتب ألفاً قائمةً مطلقاً، نحو: حصان – قال – نام – وفراس ... .

الثانية: الألف اللينة المتطرفة: تكتب في نهاية الكلمة، ويكون رسمها على هيئتين: فالأولى تكتب على هيئة الياء، وتسمى الألف المقصورة: مثل: هدى – ليلى – الفتى – سجى. والأخرى: تكتب على هيئة الألف القائمة، وتسمى الألف الممدودة، مثل: عصا – سما.

الألف المقصورة: ويقال لها الياء المرسلة، هي أحد أشكال حرف الألف، وترسم حرف ياء مهملة، أي: (ى) من دون النقطتين.

الألف الممدودة: هي ألف تأتي في آخر الكلمة، وترسم على هذا الشكل (ا).

كيف نفرق بين الألف المقصورة (ى) والألف المقصورة (ا) في آخر الكلمة؟

أولاً: في الأسماء:

مواضع الألف المقصورة (ى):

١– الاسم الثلاثي المنقلبة ألفه عن ياء، مثال: فتى – هدى.

٢– الاسم الزائد على ثلاثة أحرف إذا لم تسبق ألفه بياء، مثال: مصطفى – منتدى – سلوى.

مواضع الألف المقصورة (ا):

١– الاسم الثلاثي المنقلبة ألفه عن واو، مثال: عصا – صفا – علا.

٢– الاسم الزائد على ثلاثة الأحرف إذا سبقت ألفه بياء، مثال: هدايا – زوايا – خبايا. باستثناء اسم (يحيى) فيكتب بالقصر تمييزاً له عن الفعل (يحيا).

٣– الأسماء الأعجمية مثل: أوروبا – آسيا – أمريكا. باستثناء خمسة أسماء هي: (عيسى – موسى – متّى – كسرى – بخارى) فتكتب بالقصر.

٤– الأسماء المبنية مثل: هذا – أنا – إذا – ما – هنا. باستثناء (لدى – أنّى – متى – أولى)

فتكتب بالقصر.

قاعدة: كيف تعرف أصل الألف في الاسم؟

١- النظر إلى المفرد.

٢- تثنية الاسم.

٣- جمع الاسم.

فإن وجدت الألف أصلها واواً تكتب بألف واقفة، وإن وجدت أصلها ياءً كتبتها بألف على صورة ياء غير منقوطة.

مثل: خُطا، خطوة، خطوتان، خطوات؛ فتكتب بألف واقفة.

دمى، دمية، دميتان؛ فتكتب بألف على صورة ياء غير منقوطة.

ثانياً: في الأفعال:

مواضع الألف المقصورة (ى):

١- الماضي الثلاثي المنقلبة ألفه عن ياء، نحو: رمى - عصى - رعى.

٢- الماضي والمضارع الزائد عن ثلاثة أحرف ولم تسبق ألفه بياء، نحو: استدعى - اصطفى.

مواضع الألف المقصورة (ا):

١- الماضي المنقلبة ألفه عن واو، نحو: سما - دعا - رجا.

٢- الماضي والمضارع الزائد على ثلاثة أحرف إذا سبقت ألفه بياء، نحو: أحيا - يعيا - يحيا.

قاعدة: كيف تعرف أصل الألف في الفعل؟

١- بإضافة تاء الفاعل.

٢- أو بمصدره. فإن كان أصله واوياً كتبت بالألف الواقفة، وإلا فبصورة الياء غير المنقوطة.

مثال: سما، سموت، سموا - عصى، يعصي، عصيانا.

ثالثاً: في الحروف:

تكتب ألفاً واقفة في حروف المعاني جميعها باستثناء (حتى - على - بلى - إلى) تكتب بالقصر.

قواعد العدد والنعت العددي

العدد: لفظ معربٌ في الغالب –وقد يكون مبنياً– يذكر لتحديد كمٍ مُعّينٍ، وهو فئاتٌ، ولكلِّ فئةٍ أحكامٌ تتعلق بالتأنيثِ والتذكيرِ والإعرابِ والبناء.

أولاً: حكم العدد من حيث التذكير والتأنيث:

١– العددان (١ و٢) يكونان على وفق المعدود من حيث التذكير والتأنيث في جميع الأحول الآتية:

أ– الإفراد: نحو قول الشاعر:

وليس كثيراً ألفُ خلٍّ وصاحب وإن عـــدواً واحـــداً لكثيرُ

إن: حرف مشبه بالفعل يدخل على الجمل الاسمية ينصب المبتدأ اسماً له ويرفع الخبر خبراً له.

عدواً: اسم إن منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

واحداً: صفة منصوبة وعلامة نصبه الفتحة.

نلاحظ هنا أن لفظة (واحداً) هو من الأعداد وقد طابقت المعدود (عدواً) من حيث التذكير.

ونحو قوله تعالى: {ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ}.

ب– التركيب: نحو قوله تعالى: {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ}.

وقوله تعالى: {فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا}.

فنلاحظ في الآيتين المذكورتين أن الأولى جاء فيها العدد المركب مذكراً (أحد عشر) لأن المعدود مذكر (كوكباً). أما في الآية الثانية فقد جاء العدد مؤنثاً لأن المعدود كذلك (عيناً) إذ إن العين مؤنثة.

ج– العطف: نحو: شهر تموز واحدٌ وثلاثون يوماً.

وكقول عنترة:

فيهما اثنتان وأربعون حلوبةً فيهما اثنتان وأربعون حلوبةً

٢– الأعداد من (٣–٩): وهذه الأعداد تخالف المعدود من حيث التذكير والتأنيث، فإن كان العدد مذكراً كان معدوده مؤنثاً والعكس صحيح، وفي جميع الأحوال الآتية:

أ– المفرد: نحو قوله تعالى: {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا}.

وقوله تعالى: {قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيٓ آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا}.

وقوله تعالى: {قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا}.

نلاحظ في الآيات المذكورة أن العدد خالف المعدود من حيث التذكير والتأنيث.

ب– مركّب: نحو: عطلتنا الربيعية أربعة عشر يوماً، وثلاث عشرة ليلةً.

ج– معطوف: نحو قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ}.

ونحو: نجح بالامتحان خمسة وعشرون طالباً.

٣– العدد (١٠): يكون على خلاف المعدود إذا كان مفرداً نحو قوله تعالى: {فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ}، ونحو: اشتريت عشر لوحات بعشرة دنانير. ويكون على وفق المعدود إذا كان مركباً نحو قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا}، ونحو: أعددت في البحث تسع عشرة ورقةً.

٤– ألفاظ العقود وهي: (عشرون، ثلاثون، أربعون، خمسون، ستون، سبعون، ثمانون، تسعون) ولا تختلف صيغتها مع المعدود مذكراً كان أم مؤنثاً نحو قوله تعالى: {وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا}. ونحو قوله تعالى: {وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}، وقوله تعالى: {وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا}.

ونحو قول الشاعر:

ألَمْ تَـرَ أنّي مـذ ثـلاثـينَ حـجّةً أروحُ وأغـدو دائـمَ الحسَـراتِ

وكذلك لفظ (مئة) ولفظ (ألف) نحو قوله تعالى: {فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ}، ونحو قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ}، وقوله تعالى: {فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ}. ولفظ ألف في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا}، ومثل قوله تعالى: {يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ}، ونحو قوله تعالى: {وَإِن يَكُن مِّنكُمْ

أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}.

ثانياً: حكم تمييز العدد:

تمييز العدد: هو الاسم الذي يقع بعد العدد يوضحه ويفسره وهو ما نعرفه بالمعدود، ولكل عدد تمييز له أحكام معينة تتمثل بالآتي:

– الأعداد من (٣–١٠) يكون تمييزها جمعاً مجروراً، نحو قوله تعالى: {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ} ففي الآية الكريمة العدد (سبعة) جاء تمييزها جمعاً (أبواب) ومجرور.

ونحو قوله تعالى: {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً} وهنا أيضاً العدد (ثمانية) جاء تمييزها جمعاً للفظة يوم ومجرور كذلك.

– الأعداد من (١١–٩٩) يكون تمييزها مفرداً منصوباً نحو قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا}، ونحو قوله تعالى: {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً}، ففي الآيتين الكريمتين ذُكر عددان وجاء تمييزهما مفردينِ منصوبينِ.

– الأعداد (مئة، وألف، مليون) يكون تمييزهما مفرداً مجروراً، نحو قوله تعالى: {قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ}، ونحو قوله تعالى: {فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ}، ونحو قوله تعالى: {وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}، ففي الآيات المذكورات آنفاً جاءت الأعداد مئة وألف جاء تمييزها مفرداً مجروراً.

ثالثاً: إعراب العدد وبناؤه:

١– الأعداد المركبة: من (١١–١٩) باستثناء العدد (١٢) تكون مبنية على فتح الجزأين على محل ما تقع عليه من موقع إعرابي، نحو قوله تعالى: {لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ}، فهنا تسعة عشر عدد مبني على فتح الجزأين في محل رفع مبتدأ مؤخر.

ونحو قوله تعالى: {إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ}، فالعدد المركب هنا مبني على فتح الجزأين في محل نصب مفعول به لرأيت.

ونحو: مررت بخمس عشرة داراً، فهنا الباء حرف جر، والعدد مبني على فتح الجزأين في محل جر بحرف الجر.

أما العدد (١٢) فيعرب الجزء الأول منه إعراب المثنى فيرفع بالألف وينصب ويجر بالياء، ويبني الجزء الثاني على الفتح (في محل جر بالإضافة) نحو قوله تعالى: {فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا}، اثنتا: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه ملحق بالمثنى، وهو مضاف، عشرةَ: مضاف إليه مبني على الفتح

في محل جرّ بالإضافة.

٢- الأعداد غير المركبة تُعرب بحسب موقعها في الجملة، وكالآتي:

أ- الأعداد من (٣-١٠) تعرب إعراب المفرد فترفع بالضمة وتنصب بالفتحة وتجر بالكسرة، وكذلك المئة والألف، نحو: أنجزت الدولة سبعة جسور وتسع ساحات.

ب- ألفاظ العقود من (٢٠-٩٠) تعرب إعراب جمع المذكر السالم (ترفع بالواو وتنصب وتجر بالياء)، نحو: (نشر الطلبة عشرين مقالاً في مجلة الجامعة).

ج- الأعداد المعطوفة يعرب العدد الأول منه إعراب المفرد ويكون المعطوف ملائماً لإعراب المعطوف عليه، نحو: (رأيت واحداً وثلاثين طالباً).

رابعاً: صوغ العدد على وزن فاعل:

١- الغرض من صياغة العدد على وزن فاعل للرغبة في الدلالة على ترتيب المعدود فيصاغ من العدد اسم مشتق على وزن (فاعل).

٢- ما يصاغ من العدد هو:

أ- الأعداد المفردة من (٢-١٠) يصاغ منه على وزن (فاعل) فينعت به ويطابق حينئذ معدودة في التعريف والتنكير والتذكير والتأنيث، نحو قوله تعالى: {إِلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ}، ونحو قوله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ}.

أما العدد (١) فيستغنى عن وزن فاعل منه بكلمة (الأول) للدلالة على الترتيب المذكر نحو: يُكافأ الطالبُ الأوّل، و(الأُولى) للدلالة على ترتيب المؤنث نحو: نجحنا في المرحلة الأُولى.

ب- الأعداد المركبة من (١١-١٩) يصاغ الجزء الأول فقط على وزن فاعل وفاعلة ويبقى الثاني على ما هو عليه نحو: فرغت من التمرين الرابع عشر، وحفظت المقالة السادسة عشرة، ويطابق العدد المعدود تذكيراً وتأنيثاً ويُبنى على فتح الجزأين.

ج- الأعداد المشتملة على حرف عطف: يصاغ من المعطوف عليه على فاعل أو فاعلة، نحو: انقضى اليوم التاسع والعشرون من تموز، وحضرت الحلقة الدراسة الرابعة والثلاثين. ويعرب الجزآن الأول بالحركات والثاني بالحروف.

د- المئة والألف: يبقى هذان اللفظان على حاليهما فيقال: الفصل الألف والمئة، والمقامة الألف والمئة.

خامساً: تقديم المعدود على العدد:

حينما يتقدم المعدود على العدد يجوز في العدد التذكير والتأنيث نحو رجال سبعة، ورجال سبع، ونحو مسائل تسع، ومسائل تسعة؛ لكنْ الأفصح اتّباع القاعدة الأصلية.

سادساً: تعريف العدد:

إذا أردنا تعريف العدد بـ(ال) نتبع ما يأتي:

١- إذا كان العدد مضافاً: تدخل (ال) على المضاف إليه نحو: أخذت خمسة الكتب، وقرأت ثلاث القصص، ولا يجوز أن تدخل (ال) على المضاف وحده؛ فلا نقول: أخذت الخمسة كتب.

٢- إذا كان العدد مركباً تدخل (ال) على صدر العدد نحو: حفظت الستة عشر بيتاً.

٣- إذا كان العدد مكوّناً من معطوف ومعطوف عليه تدخل (ال) على الجزأين معاً نحو: كرمت الجامعة السبعة والعشرين متميّزاً.

سابعاً: قراءة العدد

إذا أردنا قراءة عدد مكون من أكثر من رقمين فنبدأ بقراءته من اليمين إلى اليسار، مبتدئين بالرقم الأصغر، ومنتهين بالرقم الأكبر، ونجعل له تمييزاً من العدد نحو: مضى على الهجرة (١٤٣٨) عام، فيجوز نطق العدد من اليمين إلى اليسار (الأصغر فالأكبر) -وهو الأصح- فنقول: مضى على الهجرة ثمانيةٌ وأربعون وثلاث مئةٍ وألفُ عامٍ.

ويجوز نطق العدد من اليسار إلى اليمين -وهو الشائع حالياً- ويكون العدد فيه تمييزاً كالآتي (الألف فالمئات فالآحاد فالعشرات): مضى على الهجرة ألفٌ وثلاثُ مئةٍ وثمانيةٌ وأربعون عاماً، والتمييز يكون دائماً للعدد (الأخير).

علاماتُ الإعرابِ الأصليةُ والفرعيةُ

تُعرَّفُ علاماتُ الإعرابِ بحسب جزأيها:

فالعلامة: هي السمة والصفة الفارقة للشيء عن غيره وتميُّزُه من نظيره.

الإعراب: تغيُّر يقع على أواخر الكلمات المعربة بحسب العوامل المؤثرة فيه، أو حسب موقعها من الكلام.

فعلامات الإعراب: هي حركات متغيرة تلحق آخر الاسم أو الفعل حسب موقعهِ من الكلام لتبيَّن موقعه وتميّزه من غيره.

أنواع الإعراب أربعة: هي: الرفع، والنصب، والجرّ، والجزم.

١- الرفع: يدخل على الاسم والفعل المضارع، مثل: العلمُ ينيرُ - محمدُ يدرسُ.

٢- النصب: يدخل على الاسم والفعل المضارع فتقول: لن نتركَ العلمَ.

٣- الجر: يدخل على الاسم فقط، نحو: في قليلِ الكلامِ حكمة.

٤- الجزم: يدخل على الفعل المضارع ويختص به فلا تُجزَمُ الأسماء، نحو: من يحفظْ المعروفَ يشكرْه الناسُ.

-ولهذه الأنواع الأربعة علامات إعراب أصلية وفرعية:

أولاً: علامات الإعراب الأصلية:

العلامات الأصلية أربع: الضمة للرفع - والفتحة للنصب - والكسرة للجرّ - والسكون للجزم.

مواضع الرفع بالضمة أربعة:

١- الاسم المفرد (ليس مثنًى ولا جمعاً) وهو ما دل على واحد أو واحدة تقول: محمدٌ رسولٌ كريمٌ - فاطمةُ زوجٌ صالحةٌ.

٢- جمع التكسير: وهو ما دلَّ على ثلاثة فأكثر مع تغيُّر يحدث في بنية مفرده بزيادة أو نقص أو تغيير، نحو: عِلْم جَمعُهُ عُلوم، ورَجُل جَمعُهُ رجال، فوقع «كسرٌ» في بناء الكلمة وتخللها ما غيَّر مفردَها، وكمثال على ذلك قولنا: الأسودُ ملوكُ الغابةِ.

٣- جمع المؤنث السالم: وهو ما دل على ثلاثة فأكثر مع سلامة بناء المفرد بزيادة ألف وتاء في آخره، ويطلق عليه أيضاً تسمية الجمع بالألف والتاء، نحو: تفوقت التلميذاتُ - الشجراتُ أثمرنَ - الصلواتُ الخمس مكفراتٌ للذنوب.

٤- الفعل المضارع المجرد من النواصب والجوازم، نحو: يحترمُ الناسُ المهذبَ - يقومُ حسين مبكراً.

مواضع النصب بالفتحة ثلاثة:

١- الاسم المفرد، نحو: إنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ.

٢- جمع التكسير، نحو: أحبُّ النجومَ الزاهرةَ.

٢- الفعل المضارع، نحو: لن يُضيّعَ اللهُ أجرَ مَن أحسنَ عملاً.

مواضع الجر بالكسرة ثلاثة وكلها تختص بالأسماء:

١- الاسم المفرد، نحو: صلّيتُ فِي بيتِ اللهِ الحرامِ

٢- جمع التكسير، نحو: فرضَ اللهُ فِي الأموالِ زكاةً للفقراءِ

٢- جمع المؤنث السالم نحو: تعيش الحيتانُ في المحيطاتِ - سلمت المعلمةُ على التلميذاتِ.

موضع الجزم مختص بالفعل وتكون علامته الأصلية (السكون):

يجزم الفعل المضارع صحيح الآخر بالسكون نحو: إنْ يحضرْ الضيفُ أكرمْهُ - من يزرعْ الخير يحصدْ مثله.

ثانياً: علامات الإعراب الفرعية:

تنوب عن العلامات الأصلية عشر علامات فرعية في سبعة مواضع، وقد ينوب حرف عن حركة أصلية، أو حركة إعرابية فرعية عن حركة أصلية، أو ينوب حذف الحرف عن السكون كحذف حرف العلة أو حذف النون.

المواضع التي تنوب فيها العلامة الفرعية عن العلامة الأصلية سبعة هي:

١- الأسماء الستة.

٢- المثنى.

٣- جمع المذكر السالم، وما يلحق به.

٤- جمع المؤنث السالم، وما يلحق به.

٥- الاسم الممنوع من الصرف.

٦- الأفعال الخمسة.

٧- الفعل المضارع المعتل الآخر.

أولاً: الأسماء الستة: وهي: أبٌ، أخٌ، حمٌ، فمٌ، هنٌ، ذو (بمعنى صاحب).

ترفع هذه الأسماء بالواو نيابة عن الضمة، نحو: أخوك رجل كريم - زارني ذو فضل.

وتنصب بالألف نيابة عن الفتحة، نحو: احترم أخاك الأكبر - غسلت البنت فاها.

وتجر بالياء نيابة عن الكسرة، نحو: دخلت فاطمة على أبيها.

شروط إعراب الأسماء الستة بالحروف :هناك خمسة شروط عامة لإعراب الأسماء الخمسة بالحروف بدل الحركات، وشرطان يخصان الاسمين (فم، وذو):

-الشروط العامة:

أ- أن تكون مفردة، فإن ثنيت أو جمعت اعربت إعراب المثنى أو الجمع نحو: أطع أبويك، أبويك: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه مثنى.

ونحو: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}، إخوة: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

ب- أن تكون مضافة، فإن لم تضف أعربت بحركات أصلية، نحو: الأبُ يربي أبناءَه - لي أخٌ يعمل طبيباً.

ج- أن تكون إضافتها لغير ياء المتكلم، فإن أضيفت لياء المتكلم أعربت بحركة أصلية مقدرة على

ما قبل الياء، نحو: أَخِي يسمع القرآن، أخي: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الخاء، وحرك بالكسر لدخول ياء المتكلم.

د– أن تكون مكبَّرة فإن صُغِّرت أعربت بعلامات أصلية، نحو أُخَيَّكَ عالمٌ بالفقه – إنَّ أُبَيَّكما كبيرُ السن.

هـ – ألَّا تكون منسوبةً، فإن ختمت بياء النسب أعربت بحركات أصلية على الياء، نحو: أحبُّكَ حباً أخويَّاً – يغمرني معلمي بعطف أبويّ.

الشرط الخاص بـ(ذو): أن تضاف إلى اسم جنس ظاهر، نحو: أنت ذو علم وفضل، سلمت على ذي قرابة، فيمتنع إضافتها للعلم (غالباً) فلا يصح: هو ذو محمد، ولا إلى ضمير، فلا يجوز: أحمد ذوه، ولا إلى اسم مشتق، نحو: هشام ذو عالم، ولا إلى جملة فتقول: أنت ذو تقوم.

الشرط الخاص بـ(فم): ألَّا ينتهي بالميم ويقتصر على الفاء وحدها فإن ثبتت الميم أعرب بحركة إعراب أصلية رفعاً ونصباً وجراً، نحو: فمُ المؤمن طاهر – اغسلْ فمَك بعد الأكل – لا تنطق بفمِك سوءاً.

ثانياً: المثنى: يرفع المثنى بالألف نيابة عن الضمة، نحو: نجح الطالبانِ.

وينصب بالياء نيابة عن الفتحة، نحو: زرت صديقينِ.

ويجر بالياء نيابة عن الكسرة، نحو: أعجبت بالزهرتينِ.

ويلحق بالمثنى كلٌّ من: (كلا، وكلتا، واثنان، اثنتان).

ثالثاً: جمع المذكر السالم: يرفع بالواو نيابة عن الضمة نحو انتصر المسلمونَ في بدر.

وينصب بالياء نيابة عن الفتحة نحو: تكرمُ الدولة المبدعينَ.

ويجر بالياء نيابة عن الكسرة نحو: {إن للمتقينَ مفازاً}.

ويلحق بجمع المذكر في إعرابه ألفاظ هي: بنون، وعالمون، وسنون، وأرضون، وألفاظ العقود (عشرون، ثلاثون، أربعون...).

رابعاً: جمع المؤنث السالم: يرفع بالضمة وهي علامة أصلية نحو: الفتياتُ يطعنَّ الأمهات.
ويجر بالكسرة وهي علامة أصلية نحو: قطف الولد ثلاثَ زهراتٍ
وينصب بالكسرة نيابة عن الفتحة وهي علامة فرعية، نحو: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}.
ويلحق بجمع المؤنث السالم في إعرابه كلمات أخرى مثل: أولات، وعرفات، وأذرعات، وغيرها).

خامساً: الاسم الممنوع من الصرف: يرفع بالضمة (علامة أصلية) نحو: خديجةُ أولى المؤمنات.
وينصب بالفتحة (علامة أصلية) نحو: أهلكَ اللهُ ثمودَ.
ويجر بالفتحة نيابة عن الكسرة نحو: اتخِذوا من مصرَ جنداً كثيفاً، وسلمت على فاطمةَ.

سادساً: الأفعال الخمسة: وهي كل فعل مضارع اتصلت به ألف الاثنين، أو واو الجماعة، أو ياء المخاطبة، وهذه الأفعال ترفع بثبوت النون نيابة عن الضمة نحو: العمالُ يخرجونَ من المصنع
وتنصب بحذف النون نيابة عن الفتحة نحو: {لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}.
وتجزم بحذف النون نيابة عن السكون نحو: {وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ}، و{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ}.

سابعاً: الفعل المضارع المعتل الآخر: وهو ما كان آخر حروفه الأصلية أحد حروف العلة (الألف، والواو والياء)، يرفع بالضمة (علامة أصلية) وتكون مقدرة على آخره نحو: يسعى المؤمن للخير ويرجو رحمة ربه، ونحو: القرآن يهدي إلى صراط مستقيم.

فإذا كان حرف العلة ألفاً يمنع من ظهورها التعذر، وإذا كان واواً أو ياءً منع من ظهور الضمة الثقل.

وينصب الفعل المضارع بالفتحة (علامة أصلية) وتكون مقدرة على الألف للتعذر نحو: لن يرضى الله عن المشركين، وتكون ظاهرة في المعتل الآخر بالواو أو الياء نحو: لن يسموَ المالُ بصاحبه ولن يرتقيَ بعقله.

ويجزم بحذف حرف العلة نحو: {وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ}، {وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ}، لم يخشَ جنودُنا العدو.

الجملة العربية وأنواعها

الجملة: هي ما تركب من كلمتين أو أكثر، ولها معنى مفيد مستقل، نحو: (يفوزُ المجتهدُ)، و(الصدقُ نجاةٌ)، ويُشترط في الجملة أمران، الأول: أن تكون مركبة لا مفردة، والآخر: أن تكون مفيدة بنحو مستقل. والجملة نوعان: فعلية، واسمية:

أوّلاً: الجملة الفعلية: هي الجملة التي يكون ركنها الأول مبدوءاً بفعل، نحو: نجح زيدٌ، وهي تفيد التجدد والحدوث في زمن معيّن، وللجملة الفعلية ثلاثة أنواع من الأفعال، هي: الماضي، والمضارع، والأمر، ولا بدَّ لكل فعل من فاعل سواءٌ أكانَ ظاهراً أم مستتراً.

ثانياً: الجملة الاسمية: هي ما تقدم فيها العنصر الاسمي، أي: تبدأ باسم، ويتكون تركيبها الأساس من جزأين هما: المبتدأ والخبر، أو المسند إليه والمسند.

الجملة الفعلية

الفعل الماضي

هو الفعل الذي يدل على حدث وقع وانقطع قبلَ زمنِ التكلُّم، وهو مبني دائماً -أي أنه لا يتغير إعرابه حسب موقعه من الجملة-، ويكون الفعل الماضي ثلاثياً (أكل) أو رباعياً (أقدم) أو خماسياً (ارتفع) أو سداسياً (استخرج).

علامات الفعل الماضي: إن العلامات التي تدل على الفعل الماضي، هي: قبوله تاء التانيث الساكنة، نحو: أَكَلَ وأَكَلَتْ، وشَرِبَ وشَرِبَتْ، وقبوله تاء الفاعل، نحو كتبتَ، وكتبتُ.

بناءُ الفعلِ الماضي:

أولاً: البناء على الفتح: إن الفتح هي علامة بناء الأفعال الماضية الأصلية في حال التجرُّد من الضمائر، نحو: نجحَ، لكنه يبقى مبنياً على الفتح إذا اتصلت به الضمائر الآتية:

-إذا اتّصلت به ألفُ الاثنينِ، نحو: الطالبان نجحَا، نجحَا: فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ على الفتحِ لاتّصالِه بألفِ الاثنينِ، والألفُ ضميرٌ متّصلٌ مبنيٌّ على السّكونِ في محلِّ رفعٍ فاعل.

-إذا اتّصلَت به تاءُ التّأنيثِ السّاكنةُ، نحو: الطّالبةُ نجحَتْ، نجحَتْ: فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ على الفتحِ

لاتصاله بتاء التأنيث الساكنةِ، والتّاءُ للتأنيثِ لا محل لها من الإعراب، والفاعل ضمير مستتر تقديره هي.

-إذا اتصل به ضمير نصب، نحو: عَلَّمَني، درّسَكَ. درّسَكَ: فعلُ ماضٍ مبني على الفتح، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، والكاف ضمير متصل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به.

ثانياً: البناء على الضم: يبنى الفعل الماضي على الضم إذا اتصلت به الضمائر الآتية:

-إذا اتّصلَت به واوُ الجماعةِ وكان الفعل صحيح الآخر، نحو: كتبُوا.

-إذا اتّصلَت به واوُ الجماعةِ وكان الفعل معتل الآخر بألف أو ياء يُبنى على الضم المقدر، نحو: سعَوا، بقُوا.

ثالثاً: البناء على السكون: يبنى الفعل الماضي على السكون إذا اتصلت به الضمائر الآتية:

-إذا اتّصلَت به تاءُ الفاعلِ المتحركةُ، نحو: سمعْتُ كلامَ معلّمِي، سمعْتُ: فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ على السّكونِ لاتّصالِه بتاءِ الفاعلِ، والتّاءُ ضميرٌ متّصلٌ مبنيٌّ على الضّمِّ في محلِّ رفعٍ فاعل.

-إذا اتّصلَت به نونُ النّسوةِ، نحوَ: الفتياتُ أسهمْنَ في بناءِ الوطنِ، أسهمْنَ: فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ على السّكونِ لاتّصالِه بنونِ النّسوةِ، والنّونُ ضميرٌ متّصلٌ مبنيٌّ على الفتحِ في محلِّ رفعٍ فاعل.

-إذا اتّصلَت به نا الفاعلين، نحو: نَجَحْنَا في الامتحان، نَجَحْنا: فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ على السّكونِ لاتّصالِه بنا الفاعلين، ونا ضميرٌ متّصلٌ مبنيٌّ على السّكونِ في محلِّ رفعٍ فاعلٌ.

الفعل المضارع

هو الفعل الذي يدل على حدث وقع في زمن يقبل الحال والاستقبال، وللفعل المضارع حالات، هي:

أولاً: الفعل المضارع المرفوع: يأتي الفعل المضارع مرفوعاً بالضمة الظاهرة للفعل الصحيح، والضمة المقدرة للفعل المعتل إمّا للثقل أو للتعذّر، ما لم يسبقه حرف ناصب أو جازم، ومن الأمثلة على ذلك: **يأكلُ:** فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره لتجرده من النواصب والجوازم. **يسعى:** فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على آخره، منع من ظهورها التعذّر. **يرمي:** فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على آخره، منع من ظهورها الثقل. **يدعو:** فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على آخره، منع من ظهورها الثقل.

ثانياً: الفعل المضارع المنصوب: يأتي المضارع منصوباً إن سبقه حرف من حروف النصب، وحروف نصبه هي:

-أنْ: وهو حرف نصب، ومصدر مؤول؛ كأن أقول: يسعدني أن تحضرَ.

-لنْ: حرف نفي، ونصب، واستقبال، نحو: لن أزعجَ أحداً.

-إذنْ: حرف نصب، وجواب، وجزاء، نحو: سعيتَ إذن نجحتَ.

-كيْ: حرف نصب، ومصدر مؤول، واستقبال، نحو: ادرسْ كي تنجحَ.

-أنْ المضمرة: ينصب الفعل المضارع إذا سبق بلام التعليل، ولام الجحود، وفاء السببية، وواو المعيّة، وحتى، وذلك بـ(أن المضمرة المستترة)، ومن الأمثلة على ذلك:

-لام التعليل: توكّل على الله لينصرَكَ.

-لام الجحود: ما كنت لترسبَ لو بَذلْتَ جهدَك.

-فاء السببية: لا تتكاسل في صلاتك فتندمَ.

-حتى: كما في الحديث النبويّ: «لن تؤمنوا حتى تُراحموا».

ثالثاً: جزم الفعل المضارع: يجزم الفعل المضارع بالسكون، أو حذف حرف العلّة، أو حذف النون في الأفعال الخمسة في حالتين: إذا سبقه حرف جازم؛ وأحرف الجزم هي:

-لمْ: {لم يلدْ ولم يولدْ}.

-لمَّا: لمَّا يستعد أحمد نشاطه بعد.

-لام الأمر: {لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ}.

-لا الناهية: {لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى}.

-إذا وقع الفعل بعد أداء جزم التي تجزم فعلين مضارعين: حيث إنّ الفعل المجزوم الأوّل يسمّى فعل الشرط، والثاني جواب فعل الشرط، ومن الأمثلة على ذلك: إنْ تدرسْ تنجحْ، فهنا تنجح فعل مضارع مجزوم لأنّه فعل الشرط، وتنجح فعل مضارع مجزوم لأنّه جواب الشرط.

أنواع الفعل المضارع:

١- الفعل المضارع صحيح الآخر: هو الفعل الذي ينتهي بحرفٍ صحيح، ولا ينتهي بأحرفِ

العلَّة وهي: الألف، والياء، والواو، ويكون إعرابه بالضّمة الظّاهرة إذا كان مَرفوعاً، وبالفتحة الظّاهرة إذا كان مَنصوباً، وبالسّكون الظّاهر على آخرِه إذا كانَ مَجزوماً، نحو:

-أدرسُ النحوَ، أدرسُ: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره لتجرده من النواصب والجوازم.

-لن تَذهبَ إلى الملعبِ، تذهبَ: فعل مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه الفحتة الظاهرة على آخره.

-لا تشارِكِ المسيء في عمله، تشاركْ: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه السكون حرك بالكسر لالتقاء ساكنين.

٢- الفعل المضارع المعتل الآخر: أي الفعل الذي ينتهي بأحدِ حروفِ العلّة، وهي: الألف، والواو، والياء، وعلامة إعراب الفعل المضارع المعتل الآخر هي أنْ يُرفع بالضّمة المقدرة على الألف مَنع من ظهورها التعذّر، والضّمة المقدرة على الواو والياء مَنع من ظهورها الثِّقل؛ أي صُعوبة اللّفظ، نحو: يسعى المؤمن إلى الخير، يسعى: فعل مضارع مرفوع لتجرده من النواصب والجوازم وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر. يسمو كلُ ذي مروءةٍ، يسمو: فعل مضارع مرفوع لتجرده من النواصب والجوازم وعلامة رفعه الضمة المقدره على الواو منع من ظهورها الثقل. يقضي الله ما يشاء، يقضي: فعل مضارع مرفوع لتجرده من النواصب والجوازم وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل.

ينصب الفعل المضارع المعتل بالفتحة الظّاهرة على آخر الياء والواو؛ أي تَظهر الفتحة، ويُنصب بالفتحة المقدّرة على الألف مَنع من ظهورها التّعذر، نحو: لن نسعى إلى الشرّ، نسعى: فعل مضارع منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر.

أما إذا كان الفعل المظارع المعتل منتهياً بواو أو ياء فتكون الفتحة ظاهرة، ويكون إعرابه كما إعراب الفعل الصحيح.

ويُجزم الفعل المضارع المعتل بحذفِ حرفِ العلَّة من آخره، نحو: لا تنهَ عن المنكر وتفعله، تنهَ: فعلٌ مُضارعٌ مَجزوم، وعلامة جزمه حَذفُ حرف العلَّة من آخره.

ثالثاً: الفعل المضارع من الأفعال الخمسة: الأفعال الخمسة هي خمسة أفعالٍ مُضارعة، وتتَصل بها ألف الاثنين، وواو الجَماعة، وياءُ المخاطبة. علامة إعراب الأفعال الخمسة هي أنْ تُرفع بِثبوتِ النّون، وتُنصبُ وتُجرُّ بِحذفِ حرفِ النّون من آخرها. مثال على الأفعال الخمسة: الفعل ذَهَب، منه يَذهبان،

تَذهبان، يَذهبون، تذهبون، تذهبين. أمثلة:

-يذهبون في زيارةٍ خاصةٍ، يذهبون: فعلٌ مُضارعٌ مرفوع، وعلامة رفعه ثُبوتُ النّون.

-لن تذهبوا معنا، تذهبوا: فعلٌ مُضارعٌ منصوب، وعلامة نصبه حذفُ حرفِ النّون من آخره.

-لم يذهبوا في موعدكم، تذهبوا: : فعلٌ مُضارعٌ مجزوم، وعلامة نصبه حذفُ حرفِ النّون من آخره.

بناء الفعل الماضي: يبنى الفعل المضارع في حالتين هما:

-الأولى: إذا اتصلت به نون النسوة، يبنى على السكون، نحو: يفعلْنَ، يكتبْنَ: فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، ونون النسوة ضمير متصل مبني على الفتح في محل رفع فاعل.

-والأخرى: إذا اتصلت به نونا التوكيد الثقيلة والخفيفة فحينئذٍ يبنى على الفتح، نحو: أسجُنَنَّكَ إذا سرقتَ، أسجُنَنَّكَ: فعل مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنا، ونون التوكيد الثقيلة حرف مبني على الفتح لا محل لها من الإعراب، والكاف ضمير متصل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به.

فعل الأمر

هو فعلٌ يُطلَبُ به ممَّن يُخاطَبُ القيامُ بعملٍ منَ الأعمالِ في الزمنِ الذي يقعُ بعد انتهاءِ التَلَفُّظِ به، نحو: اقرَأْ كتابَكَ. ويُصاغُ فعلُ الأمرِ من الفعلِ المضارِعِ، ويبنى على ما يجزم به مضارعه.

بناء فعل الأمر:

-يُبنى فعل الأمر على السكون إذا كان الفعل صحيحًا أو اتصلت به نون النسوة، نحو: اكتبْ، واكتبْنَ.

-يبنى على حذف حرف العلة إذا كان الفعل معتلاً بالألف أو بالواو أو بالياء، نحو: ادعُ، اسعَ، اقضِ.

-يبنى على حذف النون إذا اتصلت به واو الجماعة أو ياء المخاطبة أو ألف الاثنين، نحو: اكتبوا، اكتبي، اكتبا.

-يبنى على الفتح إذا اتصلت به نونا التوكيد الثقيلة والخفيفة، نحو: لتكتبَنَّ.

الفاعل

هو اسم مرفوع تقدمه فعل مبني للمعلوم ودل على قام به الفعل، أو اتصف بالفعل مثل: (مات الرجل، واخضرَّ الزرع)، وقد يكون الفاعل اسماً ظاهراً أو اسماً مستتراً أو ضميراً مستتراً أو ضميراً ظاهراً، والفعل لا تتغير صورته مع الفاعل المثنى والفاعل الجمع بل يبقى على حاله التي كان عليها مع المفرد.

أنواع الفاعل:

١- الفاعل المفرد:

من آداب طلب العلم أن يستمع الطالبُ إلى كلام المعلم.

الطالبُ: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة؛ لأنه مفرد. (راجع علامات الرفع الأصلية وعلامات الرفع الفرعية).

٢- الفاعل المثنى:

شارك الطالبان في فريق الجامعة التطوعي.

الطالبان: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف؛ لأنه مثنى.

٣- الفاعل الجمع:

أ- جمع المذكر سالم:

صمم المهندسون البناء بعناية.

المهندسون: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم.

ب- الجمع بالألف والتاء (الجمع المؤنث):

طلبت الطالبات من المدرس إعادة الدرس

الطالبات: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة؛ لأنه جمع مؤنث سالم.

ج- الأسماء الخمسة:

مثل: جاء أبوك من العمل.

أبوك: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو؛ لأنه من الأسماء الخمسة، وهو مضاف، الكاف ضمير

متصل مبني على الفتح في محل جر بالإضافة.

صور الفاعل:

للفاعل عدة صور، منها:

١- اسم ظاهر: أي كلمة واحدة موجودة في الجملة، نحو: زادت الصادراتُ لتقدم الصناعة.

٢- ضمير متصل: وهي ضمائر الرفع المتصل، نحو قوله تعالى: {وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ}.

٢- ضمير مستتر، نحو: قلِ الحق ولو كان مرا.

الفاعل هنا هو ضمير مستتر وجوباً تقديره «أنت».

الكتاب يفيد قارئه.

الفاعل هنا هو ضمير مستتر تقديره «هو»، فأصل الجملة: الكتاب يفيد هو قارئه.

الأم حملت وليدها وأرضعته.

الفاعلان هنا هما ضميران مستتران تقديرهما «هي». فأصل الجملة الأم حملت هي رضيعها وهي أرضعته.

٣- أسماء الإشارة (نحو هذا وهذه وهؤلاء): وتعرب في محل رفع فاعل إذا جاءت بعد الفعل، نحو: جاء هذا الرجل.

هذا: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع فاعل.

٤- الأسماء الموصولة: وتعرب في محل رفع فاعل إذا جاءت بعد الفعل، مثاله جاء الذي نجح. الذي: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل.

٥- المصدر المؤول: هو تركيب يتكون من (أن الناصبة + فعل مضارع)، مثاله قوله تعالى {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ}. «أن تخشع» مصدر مؤول وقع فاعلاً.

خصائص الفاعل:

١- وجوب إفراد الفعل مع الفاعل؛ فالفعل لا يتغير بتغير عدد الفاعل؛ فنقول: نجح الطالب، ونجح الطالبان، ونجح الطلاب.

٢- تأنيث الفعل مع الفاعل وجوباً وجوازاً؛ إذ يتغيّر الفعل بتغيُّر نوع الفعل؛ فيؤنث الفعل مع

الفاعل وجوباً في حالتين:

– إذا كان الفاعل اسماً متصلاً بالفعل حقيقي التأنيث، مثل: حضرت فاطمة.

– إذا كان الفاعل ضميراً مستتراً عائداً على مؤنث حقيقي، مثل: الدجاجة صاحت. أو على مؤنث مجازي، مثل: الشمس أشرقت.

أما تأنيث الفعل جوازاً فيكون في ثلاث حالات:

– إذا كان الفاعل مجازيَ التأنيث ومتأخر على فعله، مثل: امتلأ الدار بالزائرين أو امتلأت الدار بالزائرين.

– إذا كان الفاعل حقيقي التأنيث مفصولاً عن الفعل بفاصل، مثل: نالت في المدرسة الطالبة جائزة تقديراً لها؛ فهنا يجوز أن نقول: (نال).

– إذا كان الفاعل جمع تكسير، مثل: حضر الرجال أو حضرت الرجال.

علامة التأنيث في الأفعال:

يؤنث الفاعل في الأفعال الآتية:

١– الماضية التي يكون في آخرها تاء ساكنة، نحو: (جلست، قامت، قرأت، ذهبت).

٢– المضارعة التي تكون في أولها تاء متحركة، نحو: (تجلس، تقوم، تقرأ).

تمرينات

دل على الفاعل من العبارات الآتية وبيّن إعرابه:

فشد بسيفه صلتاً عليه فقطعه أبو عبس بن جبرِ

قال الشاعر:

تَوَخَّى حِمامُ الموت أوسط صيبتي فلله كيف اختار واسطة العقد

قال تعالى: {لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}.

قال تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ}.

قال الشاعر:

النائب عن الفاعل

تعريفه:

نائب الفاعل*[٢]: هو من الأسماء المرفوعة في اللغة العربية، وسُميّ بهذا الاسم لأنه ينوب عن الفاعل حين حذفه.

نحو: عوقبَ المسيءُ، فالتقدير في الجملة: عاقبَ القاضي المسيءَ.

لِمَ يُحذفُ الفاعلُ؟

يحذف لفاعل لعدة أسباب بلاغية أهمها:

١- معرفة المتحدث به والمخاطب به، نحو قوله تعالى: {وخُلِقَ الإنسانُ ضعيفاً}. أي: خلق اللهُ الإنسان ضعيفاً.

٢- جهل المتحدث والمخاطب به؛ لذا لا يمكن تعيينه، نحو: سُرِقَت السيارةُ. فهنا لا نعلم من السارق.

٣- الخوف عليه من ذكره، نحو: ضُرِبَ اللاعِبُ، إذا عرفت الضارب، لكنك خفت عليه من العقاب فلم تذكره.

٤- الخوف منه، نحو: كُسرَ الزجاجُ، إذا عَرَفْتَ من كسره، وخفت من ذكره.

صور نائب الفاعل: وهي كصور الفاعل، فيأتي:

١- اسماً ظاهراً: نحو: يُقَدَّرُ المخلصُ.

٢- ضميراً: وهو أنواع:

- متصل: أُكرِمْتُ.
- منفصل: ما يُستثنى إلا أنا.
- مستتر: محمد يشكُرُ، وفاطمة تُشْكَرُ.

٢. لعلَّ من المفيد أن تدرك أن الفعل الذي يسبق نائب الفاعل هو فعل مجهول فاعله، الذي درج النحويون على تسميته بـ(الفعل المبني للمجهول) وهم لا يقصدون أنه مبني -كونه معرباً- ولكنهم يعنون بكلمة (مبني) المقصود بكلمة (مصوغ) والأفضل -تجنباً لسوء الفهم- أن يُقال عن هذا الفعل فعل مضارع مرفوع، مجهول فاعله في قولنا: تُذْكَرُ عن الفتاة أقوالٌ رائعة.

٣- مصدراً مؤولاً: نحو: يُفَضَّل أن تنتبهوا: يُفَضَّلُ انتباهُكم.

أحكام نائب الفاعل:

تنطبق الأحكام التي وردت في باب الفاعل على نائب الفاعل من حيث مطابقته لفعله في التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع.

كيفية تحويل الفعل معلوم الفاعل إلى مجهول الفاعل:

١- الفعل الماضي صحيح العين الخالي من التضعيف يُضم أولُه ويُكسر ما قبل آخره: فالفعل (عَلِمَ يكون عُلِمَ) مثل: عُلِمَ السرُّ.

عُلِم : فعل ماضٍ مبني على الفتح ، مجهول فاعله.

السر : نائب فاعل مرفوع علامته الفتحة .

٢- الفعل المضارع يُضمُ أوّلُ حرف فيه ويُكسر ما قبل الآخر: فالفعل (يَعْلَمُ يكون يُعْلَمُ) يُعَلَمُ الرجلُ مبادئَ السوق، أما إذا كان الحرف الذي قبل الأخير حرف عله، فإن الفتح يكون مقدراً عليه، نحو: يُصام: فأصله يُصْوَم، وأبدلت الواو ألفاً لسبب صرفي، نحو:

يُصامُ نهارُ رمضانَ، ويُقامُ ليلُه.

يعلم: فعل مضارع مرفوع علامته الضمة، مجهول فاعله.

الرجل: نائب فاعل مرفوع علامته الضمة.

مبادئ: مفعول به منصوب علامته الفتحة، وهو مضاف.

السوق : مضاف إليه مجرور علامته الكسرة.

٣- إذا كان الفعل الماضي مبدوءاً بتاء زائدة، فإن الحرف الواقع بعدها يُضمُّ كما تُضَمُّ التاء، نحو: (تَفَضَّلَ وتَقَبَّلَ): تكون: (تُفُضِّلَ، تُقُبِلَ).

٤- الفعل الماضي المعتل الوسط بالواو أو الياء مثل صام أصلها (صَوَمَ) ومثل قال: قَوَلَ، يكسر أولها فيصيران (صِيم الشهرُ وقِيلَ الحقّ)، قال تعالى: {وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هذِهِ الْقَرْيَةَ}.

٥- الماضي الثلاثي المضعف (الذي ثانيه وثالثه من جنس واحد) المِدْغَمْ –المدخل فيه الحرف الأخير فيما قبله– مثل شدّ وهزّ ومدّ، فيجوز فيه ضم الأول نحو: (شُدّ الحبلُ، وهُزّت الأرضُ، ومُدّتِ

الجسورُ).

شُدَّ: فعل ماضٍ مبني على الفتح ، مجهول فاعله.

الحبل: نائب فاعل مرفوع علامته الضمة.

٦- فعل الأمر والفعل الجامد لا يحولان إلى مجهولي الفاعل.

ما ينوب عن الفاعل بعد حذفه:

إذا حُذِفَ الفاعلُ في الجملة فلا بدَّ من وجود ما يحل محله، وينوب عنه، وتوجد عدد من الأسماء بإمكانها الإنابة عن الفاعل، هي:

١- المفعول به للفعل المتعدى لمفعول واحد، نقول شاهدتُ خسوف القمر، وحين حذف الفاعل تكون الجملة كالآتي: شُوهِد خسوف القمر.

شاهدت: فعل ماضٍ مبني على السكون ، لاتصاله بتاء المتكلم وهي ضمير مبني على الضم في محل رفع فاعل.

خسوف: مفعول به منصوب علامته الفتحة، وهو مضاف.

القمر: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة.

شوهد: فعل ماضٍ مبني على الفتح، مجهول فاعله.

خسوف: نائب فاعل مرفوع علامته الضمة، وهو مضاف.

القمر: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة.

٢- المفعول به الأول إذا كان الفعل متعدياً لمفعولين ففي جملة: ظَنَنْتُ الصديقَ أخاً، تصبح حين حذف الفاعل: ظُنَّ الصديقُ أخاً، وأعطيتُ المحتاجَ مالاً، تصبح: أعطيَ المحتاجُ مالاً.

ظُنَّ: فعل ماضٍ مبني على الفتح مجهول فاعله.

الصديق: نائب فاعل مرفوع علامته الضمة.

أخاً: مفعول به منصوب علامته تنوين الفتح.

٣- المفعول به الثاني إذا كان الفعل متعدياً إلى ثلاثة مفاعيل، ففي جملة: أعلَمَ المدرسُ الطلبةَ الدرسَ ممتعاً، تكون: أُعْلِمَ الطلبةُ الدرسَ ممتعاً.

أَعلَمَ: فعل ماضٍ مبني على الفتح.

المدرسُ: فاعل مرفوع علامته الضمة وهو مضاف.

الطلبةَ: مفعول به أوّل منصوب بالفتحة.

الدرسَ: مفعول به ثانٍ منصوب بالفتحة.

ممتعماً: مفعول به ثالث منصوب بالفتحة.

أعلم : فعل ماضٍ مبني على الفتح مجهول فاعله .

الحاضرون : نائب فاعل مرفوع علامته الواو .

العرض : مفعول به أو منصوب علامته الفتحة .

مستمراً : مفعول به ثان منصوب علامته تنوين الفتح .

٤- الظرف المفيد معنًى محدداً:

ففي قولنا وَقَفَ السائقُ أمامَ الإشارةِ، تكون العبارة: وُقِفَ أمامُ الإشارة.

يسهرُ الناسُ في ليل الصيف، تكون: يُسْهَرُ ليلُ الصيف.

وقف: فعل ماضٍ مبني على الفتح.

السائق: فاعل مرفوع علامته الضمة.

أمام : ظرف زمان منصوب علامته الفتحة، متعلق بـ (وقف) وهو مضاف.

الإشارة: مضاف إليه مجرور علامته الكسرة.

وُقف : فعل ماضٍ مبني على الفتح، مجهول فاعله.

أمام: نائب فاعل مرفوع علامته الضمة وهو مضاف.

الإشارة:مضاف إليه مجرور علامته الكسرة.

٥- الجار والمجرور سواء أكان حرف الجر زائداً نحو:

ما عرف المحقق شيئاً عن الجريمة، تصبح: ما عُرِف من شيءٍ عن الجريمة.

أم غير زائد نحو:

نظر القاضي في الشكوى، تصبح: نُظِرَ في الشكوى.

ما : حرف نفي مبني على السكون، لا محل له.

عرف: فعل ماضٍ مبني على الفتح.

المحقق: فاعل مرفوع علامته الضمة.

من: حرف جر زائد مبني على السكون.

شيء: اسم مجرور لفظاً منصوب محلاً، على أنه مفعول به.

عن الجريمة: شبه جملة جار ومجرور.

عُرِفَ: فعل ماضٍ مبني على الفتح مجهول فاعله.

من: حرف جر زائد.

شيء: اسم مجرور لفظاً، مرفوع محلاً على أنه نائب فاعل.

نظر: فعل ماضٍ مبني على الفتح.

القاضي: فاعل مرفوع علامته ضمة مقدرة على الياء.

في الشكوى: جار ومجرور متعلقان بنظر.

نُظِرَ: فعل ماضٍ مبني على الفتح مجهول فاعله.

في الشكوى: شبه جملة جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل.

تمرينات

– حوّل الجمل الآتية من جمل معلومةِ الفاعل، إلى جملٍ مجهولٍ فاعِلُها مع مرعاة ضبطها وتعيين نائب الفاعل في كلٍّ منها.

١– مالت أغصانُ الزيتون من كثرة الثمر.

٢– عادَ الهدوءُ إلى المدينة.

٣- يمارسُ أهلُ القرية عادة زراعةِ الأشجارِ.

٤- سمى الوالدان ابنَهما علياً.

٥- يُغطي الجليدُ سطحَ البحيرة.

٦- نامَ الطفلُ في سريره .

٧- أحيا المطرُ الزرعَ.

٨- منحت الجامعةُ المتفوقين في الدراسة الثانوية بعثاتٍ مجانيةً.

الجملة الاسمية

المبتدأ والخبر

المبتدأ: اسم يحتاج إلى الإخبار عنه، بوصف أو غيره، ويكون معرفة، وكل كلمة وجملة أو شبهها تقوم بالإخبار عن الاسم المبتدأ يطلق عليها الخبر.

١- قال أبو تمام:

الحـقُّ أبـلـجُ والـسـيـوفُ عـوارُ فـحـذارِ من أسـدِ العرين حـذارِ

٢-وقال -أيضاً-:

السيفُ أصدقُ إنباءً من الكتبِ في حدهِ الحدُّ بينَ الجدِ واللعبِ

٣- قال تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

٤- قال تعالى: {وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}.

٥- العصفورُ فوقَ الشجرةِ.

٦- قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}.

التحليل:

ولو تأملت النصوص المتقدمة سترى أن المبتدأ فيها اسم مرفوع كالألفاظ: (الحق، والسيوف، والسيف، والحد، وسواها)، وكلها احتاجت إلى ما يخبر عنها، فإذا فتشنا عن الأخبار في النصوص رأيناها ثلاثة أنواع هي:

أ- الخبر المفرد: وهو الاسم المفرد المرفوع سواء أكان وصفاً كاسمي التفضيل (أبلج، وأصدق)، أم كان اسم فاعل كاللفظ (عوار) جمع (عارية)، أم كان اسم ذات كاللفظ (إخوة) جمع (أخ)، أم كان اسم معنى كاللفظ (نور) أم غير ذلك.

ب- الخبر الجملة: هو الذي يتكون من جملة كاملة، أي: من فعل وفاعل، أو مبتدأ وخبر، كما

نرى في قوله تعالى: {الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ}، فالزجاجة مبتدأ. وجملة {كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ} خبر في محل رفع، وهي جملة اسمية. وكذلك قول أبي تمام: (في حدِّهِ الحدُّ) فهي جملة اسمية من المبتدأ والخبر في محل رفع خبر لـ(السيف).

ومثال الجملة الخبرية الفعلية قولنا: (المدرسون يعطون علمهم للطلبة) فجملة: (يعطون علمهم) جملة فعلية في محل رفع خبر للمبتدأ (المدرسون).

ج- الخبر شبه الجملة وهو على نوعين:

الأول: جار ومجرور: نحو: {مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ}، و{فِيهَا مِصْبَاحٌ}، و{الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ}، فإن الأخبار هي: (كمشكاة) و(فيها) و(في زجاجة)، أي تعرف جار ومجرور في محل رفع خبر للمبتدأ.

الثاني: الظرف: نحو: (فوق)، فهو هنا ظرف مكان في محل رفع خبر للعصفور.

تقديم الخبر على المبتدأ:

يتقدم الخبر على المبتدأ وجوباً وجوازاً لعدة مسوغات، وهي كالآتي:

أولاً وجوباً:

١- إذا كان في المبتدأ ضمير يعود على بعض الخبر، نحو: للعراق أبطاله؛ وبالتالي تكون شبه الجملة للعراق المكونة من جار ومجرور في محل رفع خبر مقدم وجوباً على المبتدأ (أبطاله) الذي اتصل به ضمير الهاء الذي يعود على بعض الخبر (العراق)، وفي هذه الحالة لا يجوز تقديم المبتدأ؛ لأن الضمير سيعود على متأخر لفظاً ورتبة.

٢- إذا كان الخبر من أسماء الاستفهام، حيث يكون لها الصدارة في الكلام، بشرط أن يأتي بعدها معرفة، وفي الغالب تكون من الأسماء التي تدل على الحال والمكان والزمان وهي: (متى، إيان، إنى، أين، كيف)، نحو: (إيان يوم القيامة)؛ وبالتالي يكون اسم الاستفهام إيان مبنياً في محل رفع خبر مبتدأ.

٣- إذا كان المبتدأ نكرة غير مخصصة؛ أي غير مضافة أو غير موصوفة، وكان الخبر شبه جملة سواء جاراً ومجروراً أو ظرفاً، نحو: (فيها دفء) و(عندنا مروءة)؛ فهنا تكون شبه الجملة في محل رفع مبتدأ.

٤- إذا كان الخبر مقصوراً أو محصوراً على المبتدأ، ويكون القصر في الحالات الآتية: إنما +الخبر+المبتدأ المؤخر، نحو: إنما في البيت عليٌّ. أو: أداة نفي+الخبر+إلا+المبتدأ المؤخر، نحو: ما ناجح إلا المُجدُّ.

٥- إذا كان الخبر في صيغة تعجب سماعية، نحو: لله درك!.

ثانياً جوازاً:

١- يتقدم الخبر على المبتدأ إذا اتصل بالمبتدأ ضمير لا يعود على بعض الخبر، نحو: للمعركة رجالُنا.

٢- إذا كان المبتدأ نكرة مخصصة (موصوفاً أو مضافاً)، نحو: في القاعة طالب جيد.

٣- إذا كان المبتدأ معرفة والخبر شبه جملة ولا يوجد أي لبس في الكلام، نحو: لله الأمر.

٤- إذا كانت الجملة منفية وكان المبتدأ نكرة غير مخصصة، نحز: وما على المريض حرج.

٥- إذا كان المبتدأ نكرة تفيد التنويع، مثل: للمحسن ثواب، وللمسيء عقاب.

تعدد الخبر: يكثر أن يكون للمبتدأ الواحد خبران أو أكثر، نحو: المتنبي شاعرٌ، حكيمٌ، فكلمة «المتنبي» مبتدأ، و«شاعرٌ» خبر، و«حكيمٌ» خبر ثان. وكذلك قوله تعالى: {هُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ}، فهو: مبتدأ، والغفور وذو العرش وفعال كلها أخبار.

حذف المبتدأ والخبر: قد يحذف المبتدأ إذا دل عليه دليل، ويحذف الخبر للسبب نفسه، نحو: لولا القراءةُ لما نجحت، فالقراءة هنا مبتدأ وخبرها محذوف تقديره: لولا القراءةُ موجودةٌ لما نجحت، وكذا في قوله تعالى: {نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ} فـ(نور): خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (هو النور) أو (الله نور). أما مثال حذف الخبر ففي قولنا: أين محمد؟ فيقال: في الجامعة، أو عندك، أو نائم فهذه كلها أخبار عن (محمد) والتقدير محمد نائم أو غير ذلك.

الأفعال الناقصة

هي أفعال ناسخة تدخل على الجملة الاسمية فترفع المبتدأ ويسمى اسمها، وتنصب الخبر ويسمى خبرها، نحو: كان خالدٌ مريضاً.

١- قال الشاعر:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً ... وما مواعيده إلا الأباطيلُ
ما زلت أقتطع البيداء مُدَّرعاً ... جُنحَ الظلام وثوبُ الليل مسدولُ
حتى وضعتُ يميني ما أنازعها ... في كف ذي نَقِمات قولُه القيلُ
في فتية من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال أنكاس ولا كشف ... عند اللقاء ولا ميل معازيل

٢- قال الشاعر:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا ... شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا ... يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

٣- وقال آخر:

وإن امرأً يمسي ويُصبح سالماً ... من الناس إلا ما جنى لَسعيدُ

٤- قال تعالى: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}.

٥- وقال تعالى: {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا}.

٦- قال الشاعر:

سلِي إن جِهلت الناسَ عنا وعنهم ... فليس سواءً عالمٌ وجِهولُ

٧- قال الشاعر:

قد قيل ما قيل إن صدقا وإن كذبا ... فما اعتذارك من قول إذا قيلا

التحليل:

كان وأخواتها، أفعال ناقصة. ويقصد بالأفعال الناقصة: الأفعال التي لا تكتفي بالاسم المرفوع بعدها؛ بل تحتاج إلى اسم ينتصب بعدها يكون خبراً، ويعرب الاسم المرفوع اسماً للفعل الناقص.

فإذا اكتفى بعض هذه الأفعال بمرفوعة، ولم يحتج إلى منصوب، كان ذلك الاسم المرفوع فاعلاً للفعل، وسمي الفعل –حينئذ– تاماً. ومن أمثلة استعمال بعض هذه الأفعال تاماً قوله تعالى: {سُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ}، ومن ذلك –أيضا– قولنا: (بقيت مسائل النحو مبعثرة حتى كان كتاب سيبويه الذي جاءت فيه هذه المسائل مجموعة)، ومنه قوله تعالى: {خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ}.

وجميع الأفعال الناقصة يمكن أن تكون تامة إلا ثلاثة هي: (ما فتئ، وليس، وما زال التي مضارعها يزال). أما (زال يزول) فهو فعل تام، كما ترى في البيت الخامس من النص الأول: (زالوا فما زال أنكاس ولا كشف..)؛ فقد اكتفى الفعل بفاعله، أما الناقصة فملازمة لأسمائها وأخبارها.

والأفعال المستعملة استعمال كان في النقص هي: (**كان، وأصبح، وأمسى، وصار، وبات، وظل، وأضحى، وما زال، وما انفك، وما فتئ، وما برح، وما دام، وليس**).

ولو تتبعناها في الجمل والنصوص المتقدمة لرأيناها داخلة على الجمل الاسمية من (المبتدأ والخبر)، فلفظة (مواعيد) هي اسم كان مرفوعة وعلامة رفعها الضمة، و(مثلاً) خبرها منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره. والتاء في (ما زلت) اسم (ما زال) وجملة (أقتطع) الفعلية في محل نصب خبر (ما زال).

وهكذا الحال في: (التنائي) و(بديلاً) والضمير المستتر في (نكاد) وتقديره: (نحن)، وجملة: (يقضي علينا الأسى) الخبر، والضمير المستتر في الفعلين: (يمسي ويصبح) وتقديره: (هو) و(سالما) الخبر و(التاء) في (ما دامت) و(حَياً) الخبر... .

ولقد لاحظنا أن الاسم لكان وأخواتها –جميعا– لا يكون غير الاسم المفرد أو الضمير المستتر البارز.

أما الخبر فيتنوع، إذ ربما يأتي جملة –فعلية كانت أم اسمية– نحو (أمسى طلابنا إرادتهم قوية) وقد مرَّ مثال الجملة الفعلية.

وقد يكون الخبر شبه جملة –جاراً ومجروراً أو ظرفاً– نحو: (أصبح مثقفوناً عند حُسنِ ظنِّ الناس) فـ(عند حسن..) شبه جملة ظرف خبر(أصبح)، ونحو (ظل قيس في داره) فالجار والمجرور (في داره) شبه

جملة خبر (ظل).

وأما أمثلة الخبر المفرد فهي كثيرة في النصوص المتقدمة وقد يتقدم الخبر على الاسم كما ترى في النص الرابع والنص السادس {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}، وقول الشاعر (ليس سواءً عالمٌ) فالاسم المنصوب المتقدم هو الخبر والاسم المرفوع المتأخر هو الاسم؛ وهذا جائز في هذه الأفعال إذا لم يحصل التباس.

وربما حذفت (كان مع اسمها) وبقي الخبر منصوباً، وفي هذه الحال يستدل عليها من سياق الكلام كما نرى في النص الأخير –السابع– فالأصل فيه: إن كان المقول صدقاً، وإن كان المقول كذباً؛ فحذفت كان واسمها وبقي خبرها منصوباً.

الحروف المشبهة بالفعل

إنَّ وأخواتها: حروف ناسخة تدخل على الجملة الاسمية فتغير إعرابها وتضيف إليها معاني جديدة، وأخوات إنَّ هي: أنَّ، وكَأنَّ، ولكِنَّ، ولَيْتَ، ولَعَلَّ. عملها النحوي: تنصب إنَّ وأخواتها المبتدأ فيسمى اسمها، وترفع الخبر فيسمى خبرها عكس عمل كان وأخواتها التي ترفع الاسم وتنصب الخبر، نحو قوله تعالى: {إنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

قال ابن مالك:

لإنَّ أَنَّ لَـيْـتَ لَـكِـنَّ لَـعْـلّ ... كَأَنَّ عَكْسُ مَا لِكَانَ مِنْ عَمَل

كَـــأَنَّ زَيـــداً عـــالِمٌ بـــأنِّي ... كـفْءٌ ولكـنَّ ابنَهُ ذو ضَغْنِ

أولاً:

١- قال الشاعر:

إن الـشبـابَ تسمُـو عـزائـمُهُ ... سَيصنعُ الفجرَ وضّاءً ومبتسما

كـأنَّ هِمَّتـه طـودٌ تصادمـهُ ... هوجُ الرياحِ ويمضي خَطوُه قُدما

٢- قال الشاعر:

إنّ الـذي سَمَـكَ السماءَ بَـنَى لنا ... بيتـاً دعائمـهُ أعـزُّ وأطـولُ

٣- قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}.

٤- قال الشاعر:

كأنـك شمـسٌ والملـوكُ كواكـبُ ... إذا طلعت لم يَبدُ مِنهُن كوكبُ

٥- قال الشاعر:

ليتَ السماءَ الأرضُ ليت نجومها ... للعبقريّ بها مكـانُ شِهـابِ

٦- قال الشاعر:

أريني جـواداً مـاتَ هُـزلاً لعلني ... أرى مـا تـرَيْـنَ أو بخيـلاً مُخَلّدا

٧- قال الشاعر:

لعمرك ما ضاقت بِلادٌ بأهلها ولكنّ أخلاقَ الرّجالِ تَضيقُ

ثانياً:

١- قال تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}.

٢- قال الشاعر:

أَلَمْ تعْلمِي أنّ الثَّواءَ هُوَ التّوى وأنّ بُيُوتَ العاجِزِينَ قبُورُ

٣- قال الشاعر:

إذا كُنْتَ ذا نفسٍ جوادٍ ضميرُه فليسَ يَضيرُ الجُودُ أنّكَ مُعدَمُ

٤- قال الشاعر:

أُنبِئتُ أنّ رسولَ اللهِ أوعدني والعفوُ عِندَ رَسولِ اللهِ مأمولُ

٥- قال تعالى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۘ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}.

التحليل:

أولاً:

- تضمنت النصوص المتقدمة (إن وأخواتها) في جمل مختلفة، ومتنوعة؛ وإذا استعرضناها استنتجنا منها كيفية استعمال هذه الحروف مع الجمل الاسمية، إذ هي تدخل على المبتدأ والخبر ، فتنصب الاسم الأول ويكون اسماً لها، وترفع الخبر فيكون خبراً لها، ولكونها تأخذ اسماً منصوباً وخبراً مرفوعاً وتحمل معاني في استعمالها، كانت هذه الحروف مشبهة بالفعل.

ولو راجعنا النصوص متأملين في تراكيب جملها رأينا أن البيت الأول (إن الشبابَ) قد جاء: (الشباب) فيه اسماً منصوباً فهو اسم (إن)، وجاءت جملة (سيصنع) في محل رفع خبر لها. وتبعتها في الاستعمال (كأن) فنصبت (همته) اسماً لها وجاءت (طود) خبراً مرفوعاً.

ويقال مثل ذلك في: (الذي) في النص الثاني وخبرها جملة: (بنى لنا ....)، والكاف في الآية: (وإنك لعلى ...)، فهي اسم (إن) في محل نصب؛ لأنها ضمير مبني ، وشبه الجملة (على خلق) من الجار والمجرور في محل رفع خبر، وكذ (إن) والكاف في (كأنك) الاسم، و(شمس) الخبر.

– و(السماء) اسم (ليت) وخبرها الأرض و(نجومها) الاسم والجملة الاسمية (بها للعبقري مكان شهاب) خبر.

والياء في (لعلني) اسم لعل مبني على السكون في محل نصب، وجملة (أرى..) جملة فعلية في محل رفع خبر.

– و(أخلاق) اسم (لكن) منصوب، وجملة (تضيق) خبر لكن في محل رفع... وهكذا.

ويلاحظ أن أسماء هذه الأدوات –الحروف المشبهة بالفعل– لا تكون إلا اسماً مفرداً، أي: لا تكون جملة ولا شبه جملة، أما أخبارها، فهي ثلاثة أنواع:

١– يكون الخبر اسماً مفرداً كما في: (كأنك شمس) و(ليت السماء الأرض)، و(كأن همته طود)، وغيرها .

٢– يكون جملة –فعلية أو اسمية– كما في: (إن الشباب سيصنع)، و(ليت نجومها للعبقري بها مكان شهاب)، و(ألم تعلم بأن الله يرى)، و(أن رسول الله أوعدني)... وهكذا .

٣– يكون شبه جملة –جاراً ومجروراً أو ظرفاً– كما في قوله تعالى: (وإنك لعلى خلق عظيم)، وكقولنا: (إن الكتاب عندك)... وهكذا.

والجملة وشبه الجملة يعربان خبراً لأن وأخواتها في محل رفع، فضلاً عن ذلك فإنه توجد لأن وأخواتها معانٍ في استعمالها وهي كالآتي:

– إنَّ: تفيد التوكيد، فتؤكد اتصاف المبتدأ بالخبر وتقوي الإخبار به عنه نحو قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}.

– أنَّ: تفيد التوكيد أيضاً، نحو قوله تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}.

– كأنَّ: تفيد التشبيه، فتدل على شبه الخبر بالمبتدأ، نحو قوله تعالى: {كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ}.

– لَكِنَّ: تفيد الاستدراك، فتدل على نفي معنى محتمل من الجملة التي قبلها، نحو: طلب العلم طريق شاقّ، لكنّ عاقبته حميدة.

– ليْتَ: تفيد التمني، وغالباً ما تستعمل في تمني أمرٍ عسيرٍ أو مستحيلِ الوقوع، نحو قول الشاعر:

ألا ليت الشبابَ يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيبُ.

– لعلَّ: تفيد الترجي والتوقع، نحو قوله تعالى: ل{لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا}.

ولو دخلت (ما) على (إن) أو إحدى أخواتها ألغتها عن العمل كقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}، وكقولنا: (كأنّما أحمدُ ليثٌ). إلّا (ليت) فيجوز فيها وجهان: الأول: أن تعمل فنقول: (ليتما محمداً حاضرٌ). والثاني: الإلغاء فنقول: (ليتما محمدٌ حاضرٌ).

ثانياً:

إذا انتقلنا إلى المجموعة الثانية من النصوص نجد أن جملها كلها مبتدئة بـ (أن) ولكنها مفتوحة الهمزة في النصوص الثلاثة الأولى ومكسورة الهمزة في النص الرابع. ولو تأملنا النصوص المفتوحة الهمزة رأيناها واقعة موقع الاسم المفرد، يعني أننا نستطيع أن نصنع اسماً مفرداً في مكان (أن الله يرى) وهو: (رؤية الله) وهو مصدر صريح، وكذا تأويل سائرها فقول الشاعر: (فليس يضير الجود أنك معدم) يعني: فليس يضير الجودَ إعدامُك، فإعدامُك مصدر صريح، وعلى هذا يقال: إنّ (أنّ) المفتوحة الهمزة مصدرية، تتأول مع اسمها وخبرها بمصدر اسم يكون له محل من الإعراب، وهذه المواضع التي وردت فيها هنا هي:

الجملة الأولى: (بأن الله يرى) في محل جر بالباء.

الجملة الثانية: (أن الثواء هو التوى وأنّ ...) في محل نصب مفعول به.

الجملة الثالثة: (أنك معدم) فاعل، والفاعل مرفوع لذا فهي محل رفع.

الجملة الرابعة: (أن رسول الله أوعدني) مفعول به ثانٍ ولكنه أصبح مفعولاً به؛ لأن الفعل (أُنبئت) بُني للمجهول فأخذ المفعول به الأول نائباً عن الفاعل وهو (التاء) وحل المفعول به الثاني محل الأول.

أما النص الخامس، وهو الآية الكريمة: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ} فقد جاءت (إن) مكسورة الهمزة مع وقوع جملتها موقع المصدر أو موقع الاسم داخل الجملة، ولجملتها محل من الإعراب كالمفتوحة الهمزة، غير أننا نلاحظ أن خبرها في الآية مقترن باللام (لام الابتداء أو لام القسم)؛ وهذا يعني أن اللام متى ما دخلت على خبر إن، وجب كسر همزتها وتكسر همزة (إن) في المواقع الآتية أيضاً:

١- إذا وقعت في أول الكلام: إنك ذكي.

٢- إذا وقعت بعد القول: قلت: إنك مؤدب.

٣- إذا وقعت بعد ألا الاستفتاحية: {أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}.

٤- إذا وقعت بعد الاسم الموصول: جاء الذي إنه ناجح.

٥- إذا وقعت بعد إذ أو حيث: تريثت إذ إن التريث مفلح. واتبع الحق حيث إنّ إتباعه منجٍ من المهالك.

٦- إذا وقعت بعد واو الحال نحو: درست وإني ذو أمل بالنجاح.

٧- إذا وقعت بعد القسم: والله إنك لصادقٌ. فإن لم يقترن الخبر باللام جاز الفتح على تقدير مصدر مجرور بحرف جرٍ مقدر نحو قول الشاعر:

الحسنُ حَلَفتُ بيوسُفِهِ والسورة أنك مفردُهُ

بتقدير: على أنك مفرده.

القسم الثاني
الأدب العربي
الشعر والنثر والنقد

الأدب

هو أحد أشكال التعبير الإنساني عن مجمل عواطف الإنسان، وأفكاره، وخواطره، وهواجسه بأرقى الأساليب الكتابية، التي تتنوع من النثر إلى النثر المنظوم إلى الشعر الموزون؛ لتفتح للإنسان أبواب القدرة للتعبير عما لا يمكن أن يعبر عنه بأسلوب آخر. وقد تطور مفهوم كلمة «أدب» بتطور الحياة العربية من الجاهلية حتى أيامنا هذه عبر العصور الأدبية المتعاقبة؛ فقد كانت كلمة «أدب» في الجاهلية تعني: الدعوة إلى الطعام، قال الشاعر طرفة بن العبد:

نحنُ في المُشتاةِ ندعو الجَفَلى لا ترى الآدِبَ فينَا ينتقِرْ

فالآدب هنا معناه الداعي إلى الطعام.

وفي العصر الإسلامي استعمل الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم كلمة «أدب» بمعنى جديد هو التهذيب والتربية، ففي الحديث الشريف قال: «أدبني ربي فأحسن تأديبي». أما في العصر الأموي فقد كتسبت كلمة «أدب» «معنى تعليمياً يتصل بدراسة التأريخ، والفقه، والقرآن الكريم، والحديث الشريف؛ وصارت كلمة أدب تعني تعلُّم المأثور من الشعر والنثر. وفي العصر العباسي نجد المعنين المتقدمين (التهذيب والتعليم) يتقابلان في استخدام الناس لهما؛ وهكذا بدأ مفهوم كلمة الأدب يتسع ليشمل سائر صفوف المعرفة وألوانها ولاسيما علوم البلاغة واللغة. أما اليوم فتطلق كلمة «الأدب» على **الكلام الإنشائي البليغ الجميل الذي يقصد به التأثير في العواطف القراء والسامعين.**

تأريخ الأدب وتدوينه

تُعنى الدراسة التأريخية للأدب بنشأته، وتطوره، وأهم أعلامه من الشعراء، والكتّاب. وينحى مدونو تأريخ الأدب مناحي متباينة في كتابتهم للتأريخ، فمنهم من يتناول العصور التأريخية عصراً عصر، ومنهم من يتناول الأنواع الأدبية كالقصة، والمسرحية، والمقامة، ومنهم من يتناول الظواهر الأدبية كالنقائض، والموشحات، ومنهم من يتناول الشعراء في عصر معيّن أو من طبقة معيّنة؛ حتى إذا جاء العصر العباسي الثاني فأخذ الأدب يستقل عن النحو واللغة ويعني بالمأثور شرحاً وتعليقاً والأخبار التي تتعلق بالأدباء أنفسهم. أما في العصر الحديث فانبرى عدد كبير من الأدباء، والمؤلفين، والدارسين فكتبوا تأريخ الأدب العربي في كتب تتفاوت في أحجامها، ومناهجها، فجاء بعضها في كتاب، وبعضها في مجلدات، ككتاب «تأريخ الأدب العربي» للسباعي.

تقسيمات تأريخ الأدب العربي وعصوره

درج مؤرخو الأدب العربي على تقسيم العصور الأدبية تقسيماً يتسق مع تطور التأريخ السياسي؛ لما بين تأريخ الأدب وتأريخ السياسة من تأثير متبادل. ولكن هذا التقسيم لا يعني أن الظواهر الأدبية تتفق مع العصور التأريخية اتفاقاً تاماً؛ لأن الظواهر الأدبية تتداخل قليلاً أو كثيراً في العصور التأريخية، وأكثر من أرخوا للأدب العربي وزعوا حديثهم عنه على خمسة عصور أساسية:

١- العصر الجاهلي: وقد حدده المؤرخون بمئة وخمسين سنة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٢-العصر الإسلامي: ويمتد من بداية الدعوة الإسلامية إلى سقوط الدولة الأموية عام (١٣٢هـ)، ويقسم هذا العصر على عهدين:

-عهد صدر الإسلام: ويشمل عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء الراشدين.

-عهد الدولة الأموية.

٣- العصر العباسي: يستمر هذا العصر حتى سقوط بغداد في يد التتار عام (٦٥٦هـ).

٤-عصر الدول المتتابعة: وهو ذلك العصر الذي حكم فيه المماليك والأتراك وانتهى عام (١٢١٣هـ)

٥- العصر الحديث: ويمتد إلى أيامنا الحاضرة.

وستتناول الصفحات الآتية كل عصر على حدة مع أهم شعرائه.

الأدب الجاهلي

أولاً: الحياة في الجاهلية:

كانت القبيلة هي الوحدة السياسية في العصر الجاهلي، وتقوم مقام الدولة في العصر الحديث، وأهم رباط في النظام القبلي الجاهلي هو العصبية وتعني: النصرة لذوي القربى والأرحام. وللقبيلة رئيس يتزعمها في السلم والحرب، وينبغي أن يتصف بصفات أهمها: البلوغ، والخبرة، وسداد الرأي، وبعد النظر، والشجاعة، والكرم، والثروة.

ثانياً: مصادر الشعر الجاهلي:

المعلقات، والمفضليات، والأصمعيات، وحماسة أبي تمام، ودواوين الشعراء الجاهليين، وحماسة البحتري، وحماسة ابن الشجري، وكتب الأدب العامة، وكتب النحو، واللغة، ومعجمات اللغة، وكتب تفسير القرآن الكريم.

ثالثاً: أغراض الشعر الجاهلي:

-لقد نظم الشاعر الجاهلي الشعر في شتى موضوعات الحياة ومن أهم أغراضه:

أ- الفخر والحماسة:

الحماسة لغة تعني: القوة والشدة والشجاعة. ويأتي هذا الفن في مقدمة أغراض الشعر الجاهلي، إذ يعد من أصدق الإشعار عاطفة.

فالفخر من أول فنون الأدب تأثيراً على فطرة الإنسان، ويكون بتعداد الصفات الكريمة لمن يفخر وتحسين السيئات منها.. ونراه يرتبط غالبًا بالشجاعة، والكرم، والوفاء، والحلم، وعراقة الأصل، وحماية الجار والنزيل، ومنع الحريم. والفخر من نتاج العاطفة الجياشة الصادقة، والانفعال القوي؛ ومن هنا لا يلتزم الفخر بالحقائق التأريخية، بل يعمد إلى المبالغة والتهويل، وإطلاق الخيال الخصيب، وتنطلق فيه الألفاظ والعبارات موافقة له، مطابقة لمقتضى حاله، مشتدة بشدته.

وفي الجاهلية كان هناك الفخر الذاتي، وفيه يفخر الشاعر بنفسه، قاصرًا فخره عليها، غير ملتفت لسواه، وكان هذا النوع من الفخر كثيرًا جدًا، وقد نبت تلقائيًا من نفوس تهوى العزة، وتعشق المجد، وكانت أسواق العرب مثل سوق (عكاظ) تبسط أمامهم ميادين القول والمفاخرة، وكذلك كانت لهم مجالسهم يجتمعون فيها لمناشدة الأشعار، ومبادلة الأخبار. والشاعر لسانهم والذائد عنهم، والشعر ديوانهم، وكان البيت يرفع القبيلة، ويشيد بذكرها، ويعلي من شأنها، كذلك كان الشعر، وكان الشاعر، وكانت الأسواق

والمجالس.

وإلى جانب الفخر الذاتي وُجد الفخر الاجتماعي، وفيه يتغنى الشاعر بأمجاد قومه، ويشيد بمنعتهم وعزتهم، ويسجل مفاخرهم مباهيًا بها.

يقول عنترة:

وَلَقَد ذَكَرتُكِ والرِّماحُ نَواهِلٌ مِنّي وبِيضُ الهِندِ تَقطُرُ مِن دَمي
فَوَدَدتُ تَقبيلَ السُيوفِ لأَنَّها لَمَعَت كَبارِقِ ثَغرِكِ المُتَبَسِّمِ

وفي شعر المعلقات كثير من هذا اللون، يصور المعارك ويحمس الأبطال، ويثبتهم في ميادين القتال.

ب– الغزل:

وهو الشعر الذي يتصل بالمرأة المحبوبة المعشوقة، والشعر هنا صادق العاطفة، وبعضه نمط تقليدي يقلد فيه اللاحق السابق. وقد تربّع الغزل على عرش الشّعر في العصر الجاهلي، حيث كانت كلّ قصيدة لا بدّ وأن تحتوي على الغزل الذي يصف جمال المرأة حتّى لو لم يكن الغرض من القصيدة هو الغزل، يقول زهير بن أبي سُلمى:

صَحا القلبُ عن سلمى وقد كاد لا يسلو وَأقْفَرَ من سَلمى التّعانيقُ فالثّقْلُ
وقد كنتُ مِن سَلمَى سِنينَ ثَمانياً على صيرِ أمرٍ ما يمرُّ، وما يحلُو
وكنتُ إذا ما جئتُ، يوماً لحاجةٍ مضَتْ وأجَمّتْ حاجة الغُدِ ما تخلو
وكلُّ محبٍّ أعقبَ النأيُ لبهُ سلوَّ فؤادٍ، غير لبكَ ما يسلُو
تَأوّبَي ذِكْرُ الأحِبّةِ بَعدَما هَجعتُ ودوني قُلّةُ الحَزْن فالرّمْلُ
فأقسمتُ جهداً بالمنازلِ من منىً وما سحفتْ فيهِ المقاديمُ، والقملُ
لأرْتَحِلَنْ بالفَجْرِ ثمّ لأدأبَنْ إلى اللَّيْلِ إلاّ أنْ يُعَرّجَني طِفْلُ
إلى مَعشَرٍ لم يُورِثِ اللّؤمَ جَدُّهُمْ أصاغرهُم، وكلُّ فحلٍ لهُ نجلُ

ج– الرثاء:

وهو الشعر الذي يتصل بالميت، وهو أحد فنون الشعر العربي البارزة، بل إنه ليتصدرها من حيث صدق التجربة وحرارة التعبير ودقة التصوير. ويحتفظ أدبنا العربي بتراث ضخم من المراثي منذ الجاهلية إلى

يومنا الحاضر، ويقسم هذا التراث على ثلاثة ألوان هي: الندب، والتأبين، والعزاء.

أما الندب: فهو: بكاء النفس ساعة الاحتضار وبكاء الأهل والأقارب، وكل من ينزل منزلة النفس والأهل من الأحباء وإخوة الفكر والاتجاه والمشرب، بل يمتد إلى رثاء العشيرة والوطن والدولة حين تدول أو تصاب بمحنة من المحن القاصمة المحزنة.

وأما التأبين: فليس بنواح ولا نشيج كالندب، بل هو أقرب إلى تعداد الخصال وإزجاء الثناء. إنه تنويه وإشادة بشخصية لامعة، أو عزيز ذي منزلة في عشيرته أو مجتمعه، وهو تعبير عن حزن الجماعة على الفقيد أكثر منه تعبيرًا فرديًا عن ذلك.

والعزاء: هو في مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين. إذ هو نفاذ إلى ما وراء ظاهرة الموت وانتقال الراحل، وتأمل فكري في حقيقة الحياة والموت. تأمل ينطلق إلى آفاق فلسفية عميقة في معاني الوجود والعدم والخلود.

هذه الألوان الثلاثة من فن الرثاء لا تفصلها حدود فاصلة، ولا يقوم منها لون دون الاستناد إلى الآخر والاتسام ببعض خصائصه، ولكن إذا غلب منها لون أعطى العمل الفني طابعه العام، ووسمه بميسمه الخاص، على أن كثيرًا ما تتداخل تلك الألوان ضمن عمل أدبي واحد، ولاسيما في رثاء قواعد الملك والدول الزاهرة والعهود المجيدة من تواريخ الأمة، وقد برعت النساء في شعر الرثاء، وعلى رأسهن الخنساء، التي أشتهرت بمراثيها لأخيها صخر، إذ تقول:

يا عينِ جودي بالدّموعِ الغِزَارْ ... وابكي على أروعَ حامِي الذمارْ
فرعٍ منَ القومِ الجدى ... أنْماهُ منهُمْ كلُّ محضِ النِّجارْ
أقولُ لمّا جاءَني هُلْكُهُ ... وصرَّحَ النَّاسُ بنجوى السّرارْ
أُخَيّ! إمّا تَكُ وَدّعْتَنَا ... فَرْعٍ منَ القَوْمِ كريمِ الجَدا
فرُبّ عُرْفٍ كنْتَ أسْدَيتَهُ ... إلى عيالٍ ويتامى صغارْ
وربَّ نعمى منكَ انعمتها ... على عُناةٍ غُلَّقٍ في الإسارْ
أهْلي فِداءٌ للّذي غُودِرَتْ ... أعْظُمُهُ تَلْمَعُ بَينَ الخَبارْ
صَريعِ أرْماحٍ ومَشْحوذَةٍ ... كالبرقِ يلمعنَ خلالَ الديارْ
مَنْ كانَ يَوْماً باكياً سَيّداً ... فليبكهِ بالعبراتِ الحرارْ

د– الهجاء: فن يعبر فيه صاحبه عن العاطفة السخط والغضب تجاه شخص يبغضه. كان الهجاء في العصر الجاهلي فردياً وقبلياً، وكان الهجاء الفردي يعمل على تجريد المهجو من الفضائل التي كانت سائدة وهي الكرم والشجاعة؛ وذلك بسبب أذية وجهها المهجو إلى الشاعر، أما الهجاء القبلي فكان يقوم على ذم قبيلة معينة وإبراز مثالبها ويمدح بالوقت نفسه قبيلته ويظهر مناقبها، وكان للهجاء بعض الجوانب السياسية فحينما يقوم الشاعر بهجو قبيلة معينة يدعو القبائل الأخرى إلى عدم التحالف معها، ومن أشهرهم في هذا العصر النابغة الذبياني، وأوس بن حجر، وزهير بن أبي سلمى، والحطيئة الذي لم يسلم أحد من هجائه حتى أمهُ وأبيه وزوجته بل حتى نفسه حين قال:

أبت شفتاي اليوم إلا تكلماً بشرٍ فما أدري لمن أنا قائلهْ
أرى لي وجهاً شوه الله خلقهُ فقُبحَ من وجهٍ وقُبح حاملهْ

رابعاً: خصائص الشعر الجاهلي:

- يصور البيئة الجاهلية خير تصوير.
- الصدق في التعبير.
- يكثر التصوير في الشعر الجاهلي.
- يمتاز بالواقعية والوضوح.

خامساً: النثر في العصر الجاهلي:

النثر هو الصورة الفنية الثانية من صور التعبير الفني، ويقوم علي التفكير والمنطق، ولا تقيده قيود من أوزان أو قافية، ولم يكن النثر بالأهمية نفسها للشعر؛ فكان قليلاً، أما قلته فترجع إلى الأسباب الآتية:

- سهولة حفظ الشعر لما فيه من إيقاع موسيقي.
- الاهتمام بنبوغ شاعر في القبيلة يدافع عنها ويفخر بها.
- لم يدون العرب آثارهم الأدبية؛ لتفشي الأمية بينهم، واعتمادهم على الحفظ والرواية، ومع ذلك وصل إلينا من النثر قدر يكفي لاستنباط خصائصه الفنية.

فنون النثر الجاهلي وخصائصه:

١- الخطابة.

٢- الوصايا.

٣- الأمثال.

٤- الحكم.

وسنتناول كل فن وأهم خصائصه الفنية بنحو من الاختصار:

أولاً: الخطابة: هي من أقدم فنون النثر؛ لأنها تعتمد على المشافهة، كونها فن مخاطبة الجمهور بأسلوب يعتمد على الاستمالة، وعلى إثارة عواطف السامعين، وجذب انتباههم، وتحريك مشاعرهم؛ وذلك يقتضي من الخطيب تنوع الأسلوب، وجودة الإلقاء وتحسين الصوت ونطق الإشارة.

أما الإقناع فيقوم على مخاطبة العقل؛ وذلك يقتضي من الخطيب ضرب الأمثلة وتقديم الأدلة والبراهين التي تقنع السامعين. و للخطبة أجزاء ثلاثة هي (المقدمة، والموضوع، والخاتمة).

- أهداف الخطبة: الإفهام، والإقناع، والإمتاع، والاستمالة.

- خصائص أسلوب الخطبة:

١- وضوح الفكرة.

٢- جودة العبارة وسلامة ألفاظها.

٣- الإكثار من السجع غير المتكلف.

٤- التنوع في الأسلوب بين الخبر والإنشاء.

٥- قلة الصور البيانية.

- أسباب ازدهار الخطبة في العصر الجاهلي:

ازدهرت الخطبة لاكتمال عوامل ازدهارها وهي:

١- حرية القول.

٢- دواعي الخطابة كالحرب والصلح والمغامرات.

٣- الفصاحة فكل العرب كانوا فصحاء.

ولقد اجتمعت كل هذه الخصائص في خطبة (قس بن ساعدة الإيادي)، والجدير بالذكر أنه أول من قال في خطبته: (أما بعد) وتسمى (فصل الخطاب)، لأنها تفصل المقدمة عن الموضوع.

ثانياً: الوصايا:

– الوصية: قول حكيم صادر عن مجرب يوجهه إلى من يحب لينتفع به، وهي من ألوان النثر التي عرفها العرب في الجاهلية.

– أجزاء الوصية:

أ- المقدمة: وفيها تمهيد وتهيئة لقبولها.

ب- الموضوع: وفيه عرض للأفكار في وضوح وإقناع هادئ.

جـ- الخاتمة: وفيها إجمال موجز لهدف الوصية.

– خصائص أسلوب الوصية:

أ- وضوح الألفاظ.

ب- قصر الجمل.

ج- الإطناب بالتكرار والترادف والتعليل.

د- تنوع الأسلوب بين الخبر والإنشاء.

هـ- الإقناع بترتيب الأفكار وتفصيلها وبيان أسبابها.

و- الإيقاع الموسيقي الجميل.

ثالثاً: الأمثال:

– المثل: قول موجز سائر على الألسنة، ووارد في حادثة، أو مستمد من ملاحظة في البيئة.

نشأة المثل: كانت الحادثة تقع، ويدور فيها القول، وتأتي من بين الكلمات عبارة قوية مركزة في تلخيص الموقف، أو استخلاص العبرة منه؛ فيكون وقعها قوياً على السامع وتتلقفها الألسنة؛ فتذيع، وتنتشر، وتصبح مثلاً يلقي في كل موقف يشبه الموقف الذي سيقت فيه العبارة أول مرة، وهذا يُسمّى (مورد المثل). ويضرب المثل في موقف يشبه الحالة التي ورد فيها مع المحافظة على لفظ المثل وضبطه وهذا

يُسمّى: (مضرب المثل) وهو استعارة تمثيلية؛ ولذلك فكل مثل له حادثة ومضرب.

أنواع المثل:

أ- بعض الأمثال يرتبط بحادثة واقعية.

ب- بعض الأمثال يرتبط بقصة خيالية.

جـ- بعض منها يمثل منهجاً معيناً في الحياة.

د- بعضها ما يحمل توجيها خاصاً.

هـ- بعضها يبني على ملاحظة مظاهر الطبيعة أو يرتبط بأشخاص اشتهروا بصفات خاصة.

- ويرجع سرّ انتشار المثل وذيوعه في الجاهلية إلى الأسباب الآتية:

أ- إنها بيئة فطرية تغلب فيها الأمية وتشتد الحاجة إلى التجارب المستخلصة في أقوال لها معنى صادق.

ب- يرتبط المثل بحادثة أو حكاية تساعد على انتشاره.

جـ- تصاغ الأمثال غالباً في عبارة حسنة، يظهر فيها دقة التشبيه بين المورد والمضرب، وذلك ما يرضي ذوق العربي.

- نماذج لأمثال العرب في الجاهلية:

- (جزاؤه جزاء سنمار)، يضرب لمن يحسن في عمله فيكافأ بالإساءة إليه.

- (إنك لا تجني من الشوط العنب)، يضرب لمن يرجو المعروف في غير أهله، أو لمن يعمل الشرّ وينتظر من ورائه الخير.

رابعاً: الحِكَم:

- الحكمة: قول موجز مشهور صائب الفكرة رائع التعبير، يتضمن معنى مُسلّماً به، يهدف إلى الخير والصواب ويعبر عن خلاصة خبرات صاحبها وتجاربه في الحياة.

وتختلف الحكمة عن المثل في أمرين:

- لا ترتبط في أساسها بحادثة أو قصة.

– أنها تصدر غالباً عن طائفة خاصة من الناس لها خبرتها وتجاربها وثقافتها.

– **أسباب انتشار الحكمة:** قد شاعت الحكمة على ألسنة العرب؛ لاعتمادها على التجارب، واستخلاص العظة من الحوادث، ونفاذ البصيرة، والتمكن من ناحية البلاغة.

– **الحكمة صوت العقل:** لأن الحكمة قول موجز يقوم على فكرة سديدة، وتكون بعد تأمل وموازنة بين الأمور، واستخلاص العبرة منها؛ ولذلك فهي تعبر عن الرأي والعقل.

– **نماذج من حكم العرب في الجاهلية:**

– (مصارع الرجال تحت بروق الطمع)، فيها دعوة إلى القناعة فأن الطمع يقتل صاحبه.

– (رب ملوم لا ذنب له)، دعوة إلى التحقق من الأمر قبل توجيه اللوم للبريء.

– (أدب المرء خير من ذهبه)، معناها أن قيمة الإنسان بأدبه لا بماله.

امرؤ القيس بن حجر

مولده ونشأته:

هو امرؤ القيس بن حجر الكندي واسمه حُندج (٥٢٠ م – ٥٦٥ م) شاعر وفارس عربي، وهو أحد أشهر شعراء العصر الجاهلي رأس الطبقة الأولى من الشعراء العرب التي تشمل زهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني والأعشى، وهو أحد أصحاب المعلقات السبع المشهورة، كان من أكثر شعراء عصره خروجاً عن نمطية التقليد، وكان سبّاقاً إلى العديد من المعاني والصور.

نسبه: حندج بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر (آكل المرار) الِكندي وله ثلاث كنى هي: أبو وهب، وأبو الحارث، وأبو زيد. اشتهر بلقب امرئ القيس ومعناه: رجل الشدة، وعُرف بذي القروح؛ لإصابته بالجدري خلال عودته من القسطنطينية، وتوفي بسببه. وكندة قبيلة يمنية عُرفت في النصوص القديمة باسم (أعراب سبأ) أقاموا مملكة في نجد والبحرين وبلغت أوجها في القرن الخامس للميلاد. وولد شاعرنا هذا في نجد في اليمامة عند أخواله من بني تغلب، إذ قيل أن أمه كانت أخت المهلهل بن ربيعة، وهي فاطمة بنت ربيعة، ومن أشعاره حول نسبه يقول:

تطاول الليل علينا دمون دمون إنا معشر يمانيون وإنا لأهلنا محبون

لقد ترك امرؤ القيس خلفه سجّلًا حافلًا من ذكريات الشباب وسجّلًا حافلًا من بطولات الفرسان وترك مع هذين السجّلين ديوان شعر ضمّ بين دفتيه عددًا من القصائد والمقطوعات التي جسّدت في تأريخ شبابه ونضاله وكفاحه. وعلى الرغم من صغر ديوان شعره الذي يضمّ الآن ما يقارب مئة قصيدة ومقطوعة إلا أنه جاء شاعرًا متميزًا، فتح أبواب الشعر، وجلّى المعاني الجديدة، ونوّع الأغراض، وعدّه القدماء مثالًا يُقاس عليه ويحتكم في التفوق أو التخلف إليه؛ ولذلك عني القدماء بشعره، واحتفوا به نقدًا ودراسة وتقليدًا، ومن أهم قصائد امرئ القيس معلقته المشهورة (قفا نبكِ)، سنتاول بعضاً من أبياتها:

قفا نبك من ذِكرى حبيب ومنزل بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخول فحَوْملِ
فتوضح فالمقراة لم يَعفُ رسمهاَ لما نسجتْها من جَنُوب وَشَمْأَلِ
ترى بَعَرَ الأرْآمِ في عَرَصاتِها وقيعانها كأنه حبُّ فلفل
كأني غَداة َالبَيْنِ يَوْمَ تَحَمّلوا لدى سَمُراتِ الحَيّ ناقِفُ حنظلِ
وُقوفاً بها صَحْبي عَليَّ مَطِيَّهُمْ يقُولون لا تهلكْ أسىً وتجمّل

وليل كموج البحر أرخى سدولهُ عـلـيَّ بأنــواع الهـمـوم ليبتلي
فَـقُـلْـتُ لَـهُ لما تَمَـطّـى بصلبه وأردَف أعـجـازاً وناءَ بكَلْكلِ
ألا أيّها اللّيلُ الطّويلُ ألا انْجَلي بصُبْحٍ وما الإصْباحَ مِنك بأمثَلِ
فيا لـكَ مـن لـيـلْ كـأنَّ نجومهُ بكل مغار الفتل شدت بيذبلِ
كـأن الثريا علِّقت في مصامها بأمْـراسِ كتّـانٍ إلى صُـمّ جَنـدَلِ
وَقَـد أَغتَدي وَالـطَيرُ في وُكُناتِها مُـنـجَـرِدٍ قَـيـدِ الأَوابِــدِ هَـيـكَـلِ
مِـكَـرٍّ مِـفَـرٍّ مُـقـبِـلٍ مُـدبِـرٍ مَـعـاً جُلمودِ صَخرٍ حَطَّهُ السَيلُ مِن عَلِ
كُمَيتٍ يَزِلُّ اللِبدُ عَن حالِ مَتنِهِ كَـما زَلَّـتِ الـصَـفـواءُ بِالمُـتَـنَـزَّلِ
مسحٍّ إذا ما السابحاتُ على الونى أثــرنَ غـبـاراً بالـكـديـد المركـل
على العقبِ جيَّاش كأن اهتزامهُ إذا جاش فيه حميُه غَليُ مِرْجلِ
يطيرُ الغلامُ الخفُّ على صهواته وَيُـلْـوي بأثْـوابِ العَنيفِ المُثَقَّلِ

الأدب في العصر الإسلامي

أحدث ظهور الإسلام تحولاً جذرياً في حياة الأمة العربية ونقلها من طور التجزئة القبلية إلى طور التوحد في إطار دولة عربية تدين بالإسلام وتتخذ القرآن الكريم مثلاً أعلى، وكان لا بد لهذا الحدث العظيم من أن يعكس صداه القوي في الحياة الأدبية لهذه الأمة شعراً ونثراً، ومن البديهي أن النتاج الأدبي للأمة يتفاعل مع البيئة التي تظله ويخضع لمؤثراتها.

وحين تُرصد الظواهر الأدبية في صدر الإسلام يتبين بجلاء ما تركه الإسلام من بصمات واضحة في مسيرة الأدب، وفي سماته وخصائصه. ومن أبرز آثاره ضمور فنون أدبية كانت مزدهرة في العصر الجاهلي وظهور فنون جديدة أو تطور فنون قديمة، فقد قضى الإسلام على سجع الكهان الذي كان مرتبطاً بالوثنية الجاهلية ونهى الخطباء عن محاكاة ذلك السجع في خطبهم، وظهر لون من الخطابة يستقي من ينابيع الإسلام، وأخذ الشعراء يعزفون عن النظم في الأغراض التي كانت حياة العرب في الجاهلية تدعو إليها، واتجهوا إلى أغراض دعت إليها البيئة الإسلامية كشعر الجهاد والفتوح والشعر الديني، وأصبح شعرهم يدور حول معان تتصل بالقيم والمثل الإسلامية. وقد أوجد الإسلام مبادئ خلقية تلائم تعاليمه وروحه فانعكست هذه المبادئ في النتاج الأدبي عصرئذ.

إذا استعرضنا ما نعرف من نصوص الشعر في العصر الجاهلي مقارنةً بما نعرف من نصوص الشعر في صدر الإسلام، فإنّنا نجد كثيراً من الأغراض الجاهلية قد استنفدت أغراضها، ولم تعد تصلح للبقاء في ظل الدين الجديد، ففد أبطل الإسلامُ العصبية، ونبذَ هجر القول وفاحشه، وجاء بالجد الحق، داعياً إلى الجهاد، والعمل على صلاح الناس، وزاجراً عن النقائص والآثام، فاتجهَ الشعراء الإسلاميّون وجهة جديدةً إذ أخذوا يحبذون فضائل الإسلام، ويمدحون تعاليمه، ويفخرون بما لنبيهم الكريم، من حب في الخير، ودعوة إلى سبيل الله، ومن يقرأ مدائح حسّان وكعب وغيرهما يجد المعاني الإسلامية، والأغراض الدينية قد ظهرت بوضوح، وقلَّ من الشعراء مَن التزم إذ ذاك بالطريق الجاهلي مثل الحطيئة، حيث لم يستطع أن ينفعل سريعاً بتعالم الدين، ولكنَّ الأيام قد ساعدت، على ظهور روحٍ جديدة، لدى شعراء هذا العصر.

وألفاظ الشعراء قد تأثرتْ كثيراً بالقرآن فظهرتْ لدى الإسلاميين، كلماتٌ من الذكر الحكيم بنصّها أما معاني القرآن فقد اقتبس الشعراء منها الكثير.

وتجد لدى بعض الشعراء سهولةً في الإسلام كحسان بن ثابت الذي قرأت قصيدته السهلة في الدفاع عن رسول الله فإذا قرنتَها بما قال قبل ذَلك في مديح الغساسنة أو في الفخر بنفسه فستجد الفرق

واضحاً لا يحوج إلى استدلال.

وكلماتُ الصلاة والصوم والزكاة والإسلام، والإيمان والجهاد، والجنة والنار والحساب والبر والمعروف وحدود الله، ترددت في الشعر الإسلامي، بتأثير القرآن الكريم، والدعوة الإسلامية وكان نفرٌ من المؤرخين يظنون أن الشعر قد ضعف، في هذا العصر عما قبله لأن القرآن نهى عن وصف الخمر والهجاء والغزل الفاحش، فقلّت أغراض الشعر، ولكن الثابت أنّ أغراضاً جديدة هامةً قد جدّت، مثل وصف الفتوحات الإسلامية، وأماكن الجهاد في بلاد الروم وفارس وكل ذلك مدوّن في كتب التاريخ وينتظر من يجمعه، في كتب الأدب، ويُلقى عليه مزيداً من الضوء، والحق أن الذي تغيَّر هو صلابةُ الشعر الجاهلي، ووعورة ألفاظه، إذْ كان لكتاب الله وحديث رسوله الكريم أثرٌ في البعد عن اللفظ الغريب، والكلمة غير المأنوسة، وفيما تقدّم من الأمثلة ما يرشد إلى هذا الاتجاه.

وقد راجت مقولة تذهب إلى أن الإسلام وقف من الشعر والشعراء موقفاً مناهضاً مثبطاً، استناداً إلى قوله تعالى: {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ}، وتصحيحاً لهذه المقولة ينبغي التوضيح أن الشعراء الذين تناولتهم الآيات القرآنية إنما هم الشعراء الذين كانوا يحرضون على الفتنة، ويخوضون في الإفك والباطل، والذين كانوا يتصدون لهجاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين، وليس المقصود الشعراء كافة، ولهذا استثنى تعالى الشعراء الذين لا تصدق عليهم الآيات السابقة بقوله بعدها: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ}. وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يميل إلى سماع الشعر الجيد، وكان يشجع حسان بن ثابت وشعراء الأنصار على مهاجاة شعراء المشركين، وكان يقول لحسان: «اهجهم وروح القدس معك»؛ فهو إذاً لم يدعُ إلى التخلي عن الشعر وإنما كان يقف موقفاً مناهضاً من الشعر الذي ينافي المبادئ والقيم الإسلامية، وقد أثر عنه حديث في إطراء الشعر وهو قوله عليه السلام: «إن من الشعر لحكمة».

وكان للإسلام يد لا تنكر في ازدهار النثر الأدبي، ولاسيما الخطابة والترسل، فقد أصبحت الخطابة وسيلة لنشر الدين والوعظ وبيان مبادئ الإسلام والحض على الجهاد والدعوة إلى مكارم الأخلاق وبيان خطة الحكم، وكان الرسول عليه السلام وخلفاؤه خطباء مفوهين، وكذلك كان جل عمالهم وقوادهم. وقد دعا قيام الدولة الإسلامية واتساع سلطانها إلى الاستعانة بالكتابة والكتاب، وكانت الكتابة محدودة الانتشار في العصر الجاهلي فاتسع لها المجال في صدر الإسلام وأقبلت الناشئة على تعلم الكتابة.

الفنون الأدبية في صدر الإسلام:

ظل الشعر يتبوأ المنزلة الأولى في صدر الإسلام، شأنه في العصر الجاهلي، ولكن تطوراً جاداً ألمَّ به من حيث الأغراض والمعاني، فقد أوجد الإسلام أغراضاً جديدة كشعر الجهاد والفتوح والزهد والوعظ والشعر السياسي.

وتضاءل شأن طائفة من أغراض الشعر التي كانت سائدة في الجاهلية كالشعر القبلي القائم على العصبية القبلية والمتصل بالأيام والوقائع والمفاخرات والشعر المتصل بالغزو والغارات. فقد ألغى الإسلام دواعي الشعر القبلي حين وحد القبائل العربية في أمة واحدة، تسوس أمورها دولة واحدة، وانصرف شعراء الحواضر إلى أغراض تلائم بيئتهم المترفة فاتجهت طائفة منهم إلى الشعر الغزلي الذي بلغ الغاية من التألق والازدهار في عصر بني أمية، واتجهت طائفة أخرى إلى الشعر الديني والوعظي.

وإلى جانب الشعر أخذت الخطابة تثبت أقدامها لحاجة المسلمين إليها عصرئذ، وبدأت تسير في طريق النماء والنضج بشتى أنواعها وفي حين توارى سجع الكهان ظهرت مكانة الخطابة الدينية، فكان الرسول يخطب في المسلمين موضحاً لهم شؤون عقيدتهم. وجاء الخلفاء الراشدون بعده فساروا على نهجه، وكانوا يعظون المسلمين في خطبهم ويحضونهم على مكارم الأخلاق. وقد احتلت الخطابة الدينية المنابر وحلقات المساجد منذ ذلك العصر، وكثر الوعاظ والقصاص، وفي الوقت عينه ظهرت الخطابة السياسية التي تدور حول شؤون الحكم وسياسة الرعية

خصائص الشعر في صدر الإسلام:

لم يطرأ على الشعر كبير تغيير في صدر الإسلام من حيث أساليبه وطرائقه الفنية؛ لأن الشعر فن يقوم على المحاكاة، فالشاعر يحتذي خطا أسلافه، وفي الغالب كان الشاعر يتتلمذ لشاعر مشهور فيكون راوية له ويأخذ عنه طريقته ويحاكيه في أسلوبه، فنجد مثلاً الحطيئة يقر بسيره على نهج زهير بن أبي سلمى والشعراء الذين كانوا يأخذون شعرهم بالتنقيح والتحكيك.

يضاف إلى ذلك أن الكثرة من شعراء صدر الإسلام كانوا من مخضرمي الجاهلية والإسلام، ومن هؤلاء الحطيئة، وكعب بن زهير، والخنساء، وحسان بن ثابت، وأبو ذؤيب الهُذلي، وهؤلاء الشعراء كان لهم أسلوبهم وطرائقهم المميزة منذ العصر الجاهلي، ولم يكن من اليسير أن يغيروا في ظل الإسلام هذه الأساليب، ومن هنا لا يجد الباحث فارقاً ذا شأن في الناحية الفنية بين شعرهم في الجاهلية وشعرهم في الإسلام.

والتطور الذي طرأ على شعرهم منذ الإسلام إنما يتجلى في المعاني والأغراض. فقد استحدثت أغراض جديدة وضمرت أغراض قديمة وأمد الإسلام هؤلاء الشعراء بزاد ثر من المعاني والأفكار. على أن أثر العقيدة الإسلامية لم يكن واحداً لدى هؤلاء، فمنهم من نفذت العقيدة الجديدة إلى أعماقهم فانعكست في معانيهم وأغراضهم، شأن حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة مثلاً، ومنهم من كان أثرها ضئيلاً في نفوسهم ونتاجهم الشعري، شأن الحطيئة. ومهما يكن من أمر فإن المعاني الإسلامية أثرت بدرجات متفاوتة في شعر صدر الإسلام.

النثر في الإسلام:

أما النثر الأدبي في هذه الحقبة فكان أمره مختلفاً عن الشعر، فالنثر أكثر استجابة لدواعي التطور من الشعر، ومن هنا كان النثر الإسلامي أفضل تصويراً للحياة الإسلامية من الشعر، فضلاً عن أن القرآن الكريم كان معجزة بلاغية ألقت بظلالها على نتاج الخطباء والمرسلين فطبع بطابع إسلامي واضح القسمات، فكان النثر في هذه الحقبة إسلامياً، سواء في سماته الفنية أو في أغراضه ومعانيه، ومن أظهر الآثار الإسلامية في نثر تلك الحقبة حرص الخطباء على استهلال خطبهم بذكر اسم الله وحمده والصلاة على نبيه، وتضمين خطبهم بعضاً من آي القرآن، حتى لقد سموا الخطبة بتراء إن لم تبدأ بذكر اسم الله وحمده، وسموها شوهاء إن هي خلت من آي التنزيل. هذا إلى جانب الاستمداد من المعاني الإسلامية والقرآنية، ومحاكاة الأسلوب القرآني والاستعانة بالصور والأمثال القرآنية. وما وجد في الخطابة يصدق كذلك على الرسائل والنثر عامة إبان تلك الحقبة.

وقد حاول الخطباء وكتاب الرسائل تجنب بعض السمات التي عرفها النثر الجاهلي، والسجع خاصة، كراهة محاكاة سجع الكهان.

على أن النثر الأدبي ظل بوجه عام وفياً للأعراف المستمدة من الطريقة العربية المتوارثة من حيث إيثار الإيجاز في العبارة وتجنب التكلف والزهد في الزخرف والحلية اللفظية ووضوح المعاني وتوخي الجزالة والرصانة في الأسلوب.

أعلام الشعراء والخطباء في صدر الإسلام:

حفل عصر صدر الإسلام بعدد وفر من الشعراء، جلهم من المخضرمين ومن أشهرهم: الحطيئة العبسي الذي أجاد فني المديح والهجاء، وحسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أول من تناول الشعر السياسي بمعناه الدقيق. والخنساء السلمية التي ظلت تبكي أخويها صخراً ومعاوية في الإسلام، صنيعها في الجاهلية، وأبو ذؤيب الهذلي الذي اشتهر بقصيدته العينية في رثاء بنيه، والشماخ

ابن ضرار، وكان أوصف الشعراء للقوس وحمار الوحش، وكعب بن زهير صاحب قصيدة «بانت سعاد» في مديح الرسول، وكعب بن مالك الأنصاري الذي وقف إلى جانب رسول الله وناضل عنه بشعره، وعبد الله بن رواحة وكان كذلك من شعراء الأنصار الذين هاجوا شعراء المشركين وقد استشهد في وقعة مؤتة،

وفي ميدان الخطابة كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أول خطباء هذه الحقبة وكذلك كان خلفاؤه من الخطباء المفوهين، ولاسيما الإمام علي بن أبي طالب –عليه السلام– الذي جمعت خطبه في كتاب «نهج البلاغة».

كعب بن زهير

تعد قصيدة كَعْبِ بن زُهَيْر في مَدْح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمشهورة بمطلعها «بانت سعاد» مِن طلائع الشِّعر الإسلامي، ومن طلائع ما وعَتْه الذاكرة الأدبيَّةُ في مدح الرَّسول، وقد كان من أسباب قولِ كعبٍ لها بين يدَيْ رسول الله أنَّ بجيرًا أخا كعب بن زهير أسلم قبل كعب، وأرسل إليه أبياتًا يقول فيها:

فَمَنْ مُبْلِغٌ كَعْبًا؟ فَهَلْ لَكَ فِي الَّتِي ... تَـلُومُ عَلَيْهَا بَاطِـلاً وَهْـيَ أَحْـزَمُ
إِلَى اللهِ –لاَ العُزَّى وَلاَ اللاَّتِ– وَحْدَهُ ... فَتَنْجُو إِذَا كَـانَ النَّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَـدَى يَـوْمٍ لاَ يَنْجُـو وَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ ... مِنَ النَّاسِ إِلاَّ طَاهِرُ القَلْبِ مُسْلِمُ
فَدِينُ زُهَيْرٍ وَهْوَ لاَ شَيْءَ دِينُهُ ... وَدِيـنُ أَبِي سُلْمَـى عَلَـيَّ مُحَـرَّمُ

فما كان من كعب بعد أن ضاقت عليه الأرض بما رَحُبت –وكان النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم قد أهدر دمَه– إلاَّ أن جاء مُسلمًا مستخفيًا حتَّى دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنشدها بين يديه، وهي:

(١) مقدمة غزلية:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ ... مُتَيَّـمٌ إِثْـرَهَـا لَمْ يُفْـدَ مَكْبُـولُ
وَمَـا سُعَادُ غَدَاةَ البَيْنِ إِذْ رَحَلُوا ... إِلاَّ أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ
تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلْمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ ... كَـأَنَّـهُ مُنْهَـلٌ بِالـرَّاحِ مَعْلُـولُ
شُجَّتْ بِـذِي شَبَمٍ مِنْ مَـاءِ مَحْنِيَـةٍ ... صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهْوَ مَشْمُولُ

(٢) اعتذار للرسول:

تَسْعَى الوُشَـاةُ جَنابَيْهَا وَقَـوْلُهُمُ ... إِنَّـكَ يَا بْنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولُ
وَقَـالَ كُـلُّ خَلِيـلٍ كُنْـتُ آمُلُهُ ... لاَ أُلْفِيَنَّكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ
فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيلِي لاَ أَبَا لَكُمُ ... فَكُـلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُـولُ
كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلاَمَتُهُ ... يَـوْمًـا عَلَى آلَـةٍ حَـدْبَاءَ مَحْمُـولُ

أُنْبِئْتُ أنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي ... وَالعَفْوُ عَنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ
وَقَدْ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ مُعْتَذِرًا ... وَالعُذْرُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَقْبُولُ
مَهْلاً هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْ ... قُرْآنِ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ
لاَ تَأْخُذَنِّي بِأَقْوَالِ الوُشَاةِ وَلَمْ ... أُذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِيَّ الأَقَاوِيلُ
لَقَدْ أَقُومُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ ... رَى وَأَسْمَعُ مَا لَمْ يَسْمَعِ الفِيلُ
لَظَلَّ يُرْعَدُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ ... مِنَ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللهِ تَنْوِيلُ

(٣) مدحٌ للرسول:

حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي لاَ أُنَازِعُهُ ... فِي كَفِّ ذِي نقِمَاتٍ قِيلُهُ القِيلُ
لَذَاكَ أَهْيَبُ عِنْدِي إِذْ أُكَلِّمُهُ ... وَقِيلَ إِنَّكَ مَسْبُورٌ وَمَسْؤُولُ
مِنْ خَادِرٍ مِنْ لُيُوثِ الأُسْدِ مَسْكَنُهُ ... مِنْ بَطْنِ عَثَّرَ غِيلٌ دُونَهُ غِيلُ
إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

كَعْب بن زُهَيْر هو الصحابيُّ الجليل، وأحَدُ فحول الشُّعراء المخَضرمين المجودين، وأبوه زُهَير بن أبي سُلْمى، الشاعر الجاهليُّ المعروف.

ويتَّفِق الرُّواة على أنَّ الشِّعر لم يتصل في ولَدِ أحدٍ من فحول شعراء الجاهليَّة اتِّصالَه في ولد زهير بن أبي سلمى؛ فكَعبٌ وأبوه زهير وجَدُّه أبو سُلْمى، وعمَّتاه الخنساء وسلمى، وخال أبيه «بشامة بن الغدير»، وابنا عمَّتِه «تماضر» الخنساء، وأخوها صخر، وابنا ابنته سلمى العوثبان، وقريض، وأخوه بجير، وولده عقبة (المضرب)، وحفيده العوام بن عقبة، هؤلاء كلُّهم شعراء.

وقد رَوى قصيدةَ «بانت سعادُ» كثيرٌ من مصادر الشعر الجاهلي؛ فقد رواها «التبريزيُّ» عن الحجَّاج بن ذي الرقيبة بن عبد الرحمن بن عقبة بن كعب بن زهير، أحَدِ أحفاد كعب.

وقد اتَّفقَ الرُّواة والنُّقاد على أنَّ كعبًا أحَدُ الفحول المجودين في الشِّعر، ويصِفُون شعره بقوَّة التماسك، وجزالة اللفظ والمعنى، والمعروف عن كعبٍ أنَّه قال الشعر وهو صغير، وكان أبوه ينهاه ويضربه؛ مخافة أن يقول ما لا خير فيه.

لقد قسَّمنا القصيدة إلى عددٍ من المقاطع، تتضمَّن الأغراض التي احتوَتْها ما تم ذكره من القصيدة،

وهي على النَّحو الآتي:

١- مقدِّمة غزَليَّة.

٢- اعتذار للرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

٣- مَدْح للرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وعلى الرغم من هذه الأغراض المتعدِّدة في القصيدة، فإنَّها تضمُّها وَحْدةٌ نفسيَّة وشُعورية واحدة، كما نلحظ براعة كعبٍ في الانتقال من كلِّ غرَضٍ إلى الغرض الَّذي يليه، فهو ينتقِل من الغزَل إلى الاعتذار للرَّسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - بقوله:

تَسْعَى الوُشَاةُ جَنابَيْهَا وَقَوْلُهُمُ إِنَّكَ يَا بْنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولُ

والضمير في «جنابيْها» يعود على سعاد، والذي نَجِده يوحِّد بينهما في لُغَةٍ رمزيَّة سامية، وهكذا يفْعل في بقيَّة أجزاء القصيدة في بناء مُحْكَم فيصلٍ بين الأبيات بعضها بعضاً، بانتقالاتٍ مُحْكمة النَّسْج تشهد لها لغة القصيدة التي تمتلئ بغريب الألفاظ؛ مما يدلُّ على أنَّ معجم كعب ليس معجمًا سهلاً، بل هو معجمٌ عميق كما يتبيَّن من قراءة ديوانه كلِّه.

هذا، وقد اشتُهِرت هذه القصيدة «بانت سعاد» باسم «البُرْدة»؛ لِما يُروى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كسَا كعبًا بردتَه.

النثر في الإسلام

يتمثل النثر الأدبي في عصر صدر الإسلام في الخطابة والرسائل، وإذا كان القصد من النثر الأدبي هو التأثير وإثارة العواطف، فإن الخطبة والرسالة لهما الأثر الكبير في إثارة العواطف ومن ثَمَّ التأثير في الناس، والخطبة تؤثر في الناس أكثر من تأثير الرسالة فلنبدأ بها:

أولاً: الخطابة:

يعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من فصحاء العرب وبلغائهم قبل البعثة، وحينما بعث من الله تعالى أخذ يدعو الناس إلى عبادة الله ونبذ الشرك، وكانت الخطابة هي الوسيلة التي توصل تعاليم الإسلام إلى قريش خاصة ثم إلى العرب عامة. وقد كانت خطابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مكة قبل أن يهاجر إلى المدينة من أقوى الخطب التي يسمعها العرب، ولولا تأثير تلك الخطب في قريش ثم في العرب القادمين للحج لما حصلت الخصومة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل مكة، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبدأ خطبته بقول: «الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

ومن خطبه صلى الله عليه وآله وسلم في مكة خطبته في قريش عندما نزل عليه قوله تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين} فقد جمع قريشاً وخطب فيهم، ومن تلك الخطبة: «إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم حقاً وإلى الناس كافة».

وحينما هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة أصبحت خطبه توضح التشريع الإسلامي. وقد شرع الإسلام خطبة الجمعة والعيدين وخطبة الحج، أما الخطب التي تقال في المناسبات فهي قوية ومؤثرة.

والخطابة الإسلامية تختلف عن خطب الجاهلية؛ فخطب الجاهلية تعتمد على السجع في أسلوبها، أما الخطبة في الإسلام فتمتاز بسهولة الأسلوب، ووضوح المعنى، وهي تستقي معانيها من القرآن والحديث.

ومن عادة الخطيب أن يخطب واقفاً، ويكون ذلك فوق منبر أو مرتفع من الأرض، ولا يتصدى للخطبة إلا رجل عرف ببلاغته وقوة تأثيره، ولذلك نجد الخطب الإسلامية تؤثر في الناس أكثر من تأثير

الشعر، بعكس ما كان سائداً في العصر الجاهلي فإن الشاعر يؤثر أكثر من الخطيب.

خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالخيف في منى:

روى زيد بن ثابت: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطب بالخيف من منى فقال: «نَضَّرَ الله عبداً سَمِعَ مقالتي فوعاها، ثم أدَّاها إلى من لم يَسْمَعْهَا، فرُبَّ حَاملِ فِقْهٍ لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. ثلاث لا يُغِلُّ عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأولي الأمر، ولزوم الجماعة إنّ دعوتهم تكون من ورائه. ومن كان همه الآخرة: جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كان همه الدنيا: فرق الله أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له».

ثانياً: الرسائل:

كانت الكتابة معروفة في مكة قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولكنها قليلة جداً، وحينما نزل القرآن الكريم حث على الكتابة فقد قال تعالى: {يا أيُّها الذين آمنُوا إذا تداينْتم بدَينٍ إلىَ أجَل مُسَمى فاكتبُوه}، وقال تعالى: {اقرأ وربك الأكرم الذي علّمَ بالقلم}، وقال تعالى: {ن. والقلم وما يسطرون} والكتابة الفنية في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تنحصر في كتابة الرسائل، وكتابة الرسائل امتداد للحديث العادي ولذلك نجد الرسائل تخلو من التكلف فهي سهلة العبارة خالية من عبارات التفخيم تنصب على الغرض الذي أنشئت من أجله، وهي تبتدئ عادة بـ(من عبد الله فلان إلى فلان أما بعد).

وتشمل الرسائل في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: الرسائل إلى الملوك والأمراء، والرسائل إلى عمال الدولة، بالإضافة إلى الرسائل الشخصية، وفي عهد الخلفاء الراشدين كانت الرسائل ترسل من الخليفة إلى الأمراء والقواد والقضاة. وكانت الرسائل تشتمل على وصايا وتعليمات كما أنها تشمل المناشير التي تعمم للمسلمين، وطريقة كتابة الرسالة في زمن الخلفاء الراشدين لم تختلف عما كانت عليه في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم إلا بنوع من الإطناب، كما نجد في رسائل –الإمام علي عليه السلام–.

نماذج من الرسائل:

– رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ملك فارس:

«من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس:

سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله تعالى، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين. فأسلم تسلم».

العصر الأموي

الحياة الأدبية في العصر الأموي والعوامل المؤثرة فيها:

أدى قيام الدولة الإسلامية إلى ظهور أدب إسلامي يغاير في كثير من خصائصه الأدب الجاهلي، بيد أن قصر حقبة صدر الإسلام (١هـ، ٤٠هـ) لم يتح لهذا الأدب أن يمد جذوره وأن تنضج سماته الجديدة، فلما كان العصر الأموي أتيح لهذا الأدب الجديد أن يزدهر وأن تتضح قسماته، وساعدت على هذا التطور عوامل كثيرة سياسية واجتماعية ودينية.

وأبرز المؤثرات في الحياة الأدبية عصرئذ كانت المؤثرات السياسية. فقد نقل الأمويون حاضرة ملكهم إلى بيئة جديدة تغاير بيئة الحجاز هي الشام. وأسسوا ملكاً وراثياً يتداول فيه بنو أمية الحكم من دون سواهم ويقمعون كل معارضة تنزع إلى سلبهم ملكهم، وكان لجِلّ خلفاء بني أمية مقدرة سياسية تجعلهم مهيئين لتولي مقاليد الحكم.

فكذلك وجد للأدب العربي في عصر بني أمية بيئات جديدة غير بيئة الجزيرة العربية –مهده الأول– فتلون الأدب بألوان هذه البيئات وتأثر بها، فكان لبيئات الشام والعراق وخراسان ومصر والمغرب والأندلس أثرها القوي في الحياة الاجتماعية والفكرية والأدبية.

الفنون الأدبية في العصر الأموي:

بلغت الفنون الأدبية التي سبق الحديث عنها في صدر الإسلام مستوى رفيعاً من النضج والنماء في العصر الأموي وهي: الشعر والخطابة والكتابة، وذلك لتضافر الكثير من العوامل.

الشعر:

اتجاهات الشعر في العصر الأموي: بظهور الأحزاب السياسية في العصر الأموي ظهر لون جديد من الشعر لا عهد للعرب به من قبل هو الشعر السياسي، وكان شعراء الحزب الأموي أكثر شعراء العصر الأموي احتفالاً بتنقيح شعرهم وتهذيبه والعناية بالبناء الفني لقصائدهم ليأتي شعرهم في الصورة المكتملة فنياً إرضاء لممدوحيهم، ولكن شعرهم كان في جله يخلو من الصدق؛ لأن الدافع إلى قوله كان الرغبة في العطاء، ولهذا لا يدهش الباحث أن يرى بعض شعرائهم ينقلبون على ممدوحيهم إذا قلب لهم الدهر ظهر المجن أو أصابهم غضب السلطان، صنيع الفرزدق مثلاً بالحجاج بعد موته وهجا قتيبة بن مسلم بعد مصرعه إرضاء لسليمان بن عبد الملك، وكان قد مدحهما قبل ذلك.

وقد شهد العصر الأموي ازدهار فن آخر من فنون الشعر هو الشعر الغزلي الذي تفتحت براعمه في صدر الإسلام، وقد توافرت جملة من الدواعي لازدهار هذا الفن بأنواعه الثلاثة: (الحضري والبدوي والنسيب)، فازدهر الغزل في حواضر الحجاز –مكة والمدينة والطائف–، وكان شعراء الغزل الحجازيون منصرفين في كثرتهم إلى اللهو وسماع الغناء والتعرض للنساء، وقد وجدوا بين أيديهم وفرة من المال أفاءته الفتوح على قومهم فلم يحتاجوا إلى الكد في سبيل كسبه، وقد وجدوا أنفسهم كذلك بعيدين عن مواطن الصراع السياسي في الشام والعراق وخراسان، فانصرفوا إلى الشعر الغزلي وافتنوا فيه افتناناً ارتقى به إلى مرتبة رفيعة لم يبلغها الشعر العربي في أي عصر من عصوره. وكان رائد هذا اللون من الغزل الشاعر القرشي عمر بن أبي ربيعة

والضرب الثاني هو الشعر الغزلي البدوي الذي ازدهر في بوادي نجد والحجاز خاصة، وقد عرف هؤلاء بصدق عاطفتهم وعفتهم، ومنهم من قاده عشقه إلى الهلاك، وزعيم هذه الطائفة جميل بن معمر الذي اشتهر بحبه لبثينة، وقد وقف هؤلاء وأولئك جل شعرهم على الغزل ونهضوا بهذا الفن وأخصبوه بمعان جديدة وصور مبتكرة لم يعرفها الشعراء قبلهم.

والضرب الثالث من الغزل هو النسيب الذي كان الشعراء يأتون به في مطالع قصائدهم، وقصائد المديح خاصة، وقد ارتقى النسيب كذلك والتزمه الشعراء في مطالع جل قصائدهم، وأطاله بعضهم إطالة تلفت النظر كجرير بن عطية.

وقد أدى احتدام العصبيات القبلية عصرئذ إلى وفرة الشعر المقول بدافع العصبية وهو الشعر القبلي. وإلى ظهور ضرب من الشعراء متصل بهذه العصبية وهو المناقضات. وكان الجاهليون قد عرفوا طرفاً من هذه المناقضات ولكن لم يتح لها أن تذيع وتكثر في ذلك العصر. فلما كان العصر الأموي أقبل الشعراء على المناقضات وأكثروا منها إكثاراً يلفت النظر، وكان النصيب الأوفى منها لشعراء الثالوث الفحول: جرير والفرزدق والأخطل، حتى لقد اجتمع لهم منها دواوين ضخمة.

ولهذا الضرب من الشعر أصول التزمها الشعراء المتناقضون، ومنها اتفاق القصيدتين في الوزن والقافية، ونقض كل شاعر معاني خصمه. وقد نهض هذا الفن على أيدي شعراء العصر الأموي وبلغ غاية لم يبلغها في العصور الأدبية الأخرى. على أن مما يشين النقائض ما احتوته من بذاءة لفظية وفحش.

وكانت المناقضات تدور في إطارين: إطار العصبية الواسعة بين الجذمين: العدناني والقحطاني، أو بين فرعي عدنان: مضر وربيعة.

والإطار الثاني هو إطار العصبية الضيقة بين قبائل تمت كلها إلى أصل واحد، كالمناقضات بين بني

يربوع ودارم، وكلاهما من تميم، وشعراء هذه المناقضات هم جرير والفرزدق والبعيث، وكالمناقضات بين ابن ميادة المري والحكم الخضري، وكلاهما من قيس عيلان.

وثمة لون آخر من الشعر عرفه العصر الأموي هو الشعر الزهدي، وهو شعر أوجدته حركة الزهد التي شهدها العصر الأموي وإن لم تبلغ فيه غايتها.

وقد شهد العصر الأموي كذلك ازدهار فن الرجز وظهرت فيه طبقة من الرجاز نهضوا بهذا الفن ونحوا به نحو القصيدة وأطالوه إطالة مسرفة.

الخطابة والمناظرات:

ضروب الخطابة في العصر الأموي: عرف العصر الأموي أنواع الخطابة التي كانت شائعة في صدر الإسلام، فضلاً عن أنواع جديدة أوجدها تطور الحياة الفكرية والأحداث السياسية والاجتماعية وظهور الفرق الدينية والكلامية.

وفي مقدمة الأنواع الخطابية التي ازدهرت عصرئذ الخطابة السياسية، وقد توافرت جملة من العوامل لازدهارها من ذلك الصراع على الحكم، فإن استئثار بني أمية بالحكم وجعله وراثياً بعد أن كان شورياً أثارا معارضة عنيفة من قبل فئات سياسية مناوئة للحكم الأموي وأبرزها: الحزب الخارجي، الحزب الشيعي،والحزب الزبيري، فضلاً عن نشوب ثورات تتوخى القضاء على الحكم الأموي كثورة ابن الأشعث وثورة ابن المهلب.

أدت وفرة الأحداث والصراع بين الأحزاب السياسية إلى ازدهار الخطابة السياسية ازدهاراً لم تشهد نظيره في أي من العصور، إذ كان لها الشأن الأول في استمالة الأنصار ومقارعة الخصوم وإرهاب الثائرين وتشجيع المناضلين وعرض حجج كل من الأحزاب المصطرعة ومناظرة أعدائهم.

ويتصل بالخطابة السياسية الخطب الحربية، فقد استدعت حركة الفتح الإسلامي التي بلغت مداها الأقصى في عصر بني أمية وجود خطباء يذكون وقد الحماسة في نفوس المقاتلة ويحضونهم على مجاهدة أعدائهم.

وثمة ضرب من هذه الخطب تختلط فيه المعاني السياسية بالمعاني الدينية هو القصص. فكان القصاص يرافقون الجيوش الغازية ويثيرون الحمية في النفوس عن طريق التمثل بالآيات القرآنية التي تحث على الجهاد وتذكير المجاهدين بما ينتظرهم عند الله من الثواب العظيم وربما استعانوا بأخبار فرسان العرب القدامى لتحقيق هذه الغاية.

وهناك الخطابة الدينية التي ساعد على نموها حركة الزهد التي شهدها العصر الأموي، فقد ظهر في ذلك العصر جماعة من الزهاد وجهوا همهم إلى وعظ الناس وصدهم عن التهالك على ملاذّ الدنيا، وكان ظهور حركة الزهد رداً على انغماس عامة الناس في الشهوات، ولاسيما أولئك الذين أفاءت عليهم الفتوح أو التجارة المال الكثير. وكان في مقدمة الوعاظ الحسن البصري الذي نذر نفسه لهداية القوم وتزهيدهم في الدنيا الفانية بمواعظ بلغت الغاية في بلاغتها وقوة أثرها.

ويضاف إلى هذه الأنواع من الخطابة الدينية تلك الخطب التي كانت تلقى في المساجد أيام الجمع وفي الأعياد، وكان الوعظ غالباً على هذه الخطب إلا أنها لم تكن تخلو أحياناً من التعرض للجوانب السياسية.

الفرزدق (٣٨هـ-١١٤هـ)

شاعر من شعراء العصر الأموي واسمه همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي وكنيته أبو فراس، وسمي الفرزدق؛ لضخامة وتجهم وجهه ومعناها الرغيف، ولد الفرزدق في كاظمة لبني تميم وعاش في البصرة، اشتهر بشعر المدح والفخرُ وَ شعرُ الهجاء.

النشأة: ولد الفرزدق عام ٣٨ للهجرة في كاظمة بالكويت حالياً، ويشبه بزهير بن أبي سلمى وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى، زهير في الجاهليين والفرزدق في الإسلاميين، وهو وأبوه من نبلاء قومه وسادتهم بنو تميم ومن أكثر الشعراء، يقال أنه لم يكن يجلس لوجبة وحده أبداً، وكان يجير من استجار بقبر أبيه، وجده صعصعة كان محيي الموؤودات وهن البنات التي كانت تدفن قبل الإسلام في الجاهلية وأدرك الإسلام وكان كريماً جواداً. كان الفرزدق كثير الهجاء، إذ إنَّه اشتهر بالنقائض التي بينه وبين جرير الشاعر حيث تبادل الهجاء هو وجرير طيلة نصف قرن حتى توفي ورثاه جرير. وتنقل بين الأمراء والولاة يمدحهم ثم يهجوهم ثم يمدحهم.

كان جرير والفرزدق صديقين قريبين من بعضهم بعضاً إلا في الشعر. فكان الناس يرونهم يمشون في الأسواق مع بعضهم ولكن حينما يأتي الشعر فكل منهم له طريقته وعداوته للآخر، وقد انتهى تبادل الهجاء بينه وبين جرير حين وفاة الفرزدق.

الفرزدق وجرير وآل البيت:

نظم في معظم فنون الشعر المعروفة في عصره وكان يكثر الفخر يليه في ذلك الهجاء ثم المديح -مدح الخلفاء الأمويين بالشام- ولكنه لم يدم عندهم لمناصرته لآل البيت. وكان معاصراً للأخطل ولجرير الشاعر أيضاً، وكانت بينهما صداقة حميمة، إلا أن النقائض بينهما أوهمت بعضهم أن بينهم تحاسداً وكرهاً، وانشعب الناس في أمرهما شعبتين لكل شاعر منهما فريق، لجرير في الفرزدق رثاء جميل.

كانت للفرزدق مواقف محمودة في الذود عن آل البيت، وكان ينشد بين أيدي الخلفاء قاعداً. ويمتاز شعره بقوة الأسلوب والجودة الشعرية وقد ادخل في الشعرالعربي كثيراً من الألفاظ الغريبة، وبرع في المدح والفخر والهجاء والوصف، يقول أهل اللغة: (لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث العربية)، فكان مقدماً في الشعراء، وصريحاً جريئاً، يتجلى ذلك حينما يعود له الفضل في أحياء كثيرٍ من الكلمات العربية التي اندثرت: من قوله:

إذا مت فابكيني بما أنا أهله فكل جميل قلته فيّ يصدق
وكم قائل مات الفرزدق والندى وقائلة مات الندى والفرزدق

توفي الفرزدق سنة ١١٤ للهجرة، وكانت وفاته في منطقة البصرة بالعراق.

ميمية الفرزدق المشهورة:

قدم هشام بن عبد الملك للحج برفقة حاشيته وقد كان معهم الفرزدق وكان البيت الحرام مكتظاً بالحجيج في تلك السنة ولم يفسح له المجال للطواف فجلب له متكأ ينتظر دوره، وحينما قدم الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب –عليهم السلام– انشقت له صفوف الناس حتى أدرك الحجر الأسود، فثار هذا الأمر حفيظة هشام وأغاظه ما فعلته الحجيج لعلي بن الحسين فسئل هشام بن عبد الملك من هَذا؟! مع انه يعرفه جيداً، فأجابه الشاعر الفرزدق بهذه القصيدة وهي من أروع ما قاله ومطلعها:

يَا سَائِلِي أينَ حلَّ الجودُ والكرمُ؟ نْـدي بَيـانٌ إذَا طلَّابه قَدِمُـوا
هَذا الّذي تَعرِفُ البَطْحاءُ وَطْأَتَهُ وَالبَيْـتُ يعْرِفُـهُ وَالحِـلُّ وَالحَرَمُ
هـذا ابـنُ خَـيرِ عِبـادِ الله كُـلّهِـمُ، هـذا التّقيّ النّقيّ الطّاهِرُ العَلَمُ
هذا ابنُ فاطمَةٍ، إنْ كُنْتَ جاهِلَهُ بِجَـدّهِ أنْبِيَـاءُ الله قَـدْ خُتِمـُوا
وَلَيْسَ قَوْلُكَ: مَن هـذا؟ بضَائرِه العُرْبُ تَعرِفُ من أنكَرْتَ وَالعَجمُ
كِلْتا يَـدَيْـهِ غِيَـاثٌ عَـمَّ نَفعُهُمَا يُسْتَوْكَفـانِ، وَلا يَعـرُوهُما عَـدَمُ
سَهْـلُ الخَلِيقَةِ، لا تُخشى بَـوَادِرُهُ يَزِينُهُ اثنانِ: حُسنُ الخَلقِ وَالشّيمُ
حَمّـالُ أثقـالِ أقـوَامٍ، إذا افتُدِحُوا حُلوُ الشّمائلِ، تَحلُو عندَهُ نَعَمُ
ما قال: لا قطُّ، إلاّ في تَشَهُّدِهِ، لَـوْلا التّشَـهّـدُ كـانَتْ لاءَهُ نَعَمُ
عَمَّ البَرِيّةَ بالإحسانِ، فانْقَشَعَتْ نَهْا الغَياهِبُ والإمْـلاقُ والعَدَمُ
إذا رَأَتْـهُ قُرَيْـشٌ قـال قائِلُـها إلى مَـكَـارِمِ هـذا يَنْتَهِي الكَرَمُ
يُغْضِي حَياءً، وَيُغضَى من مَهابَتِه مَـا يُكَلَّـمُ إلاّ حِـينَ يَبْتَسِـمُ

بِكَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ ... مِن كَفِّ أَرْوَعَ، فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ

يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ ... رُكْنُ الحَطِيمِ إذا ما جَاءَ يَستَلِمُ

اللهُ شَرَّفَهُ قِدْماً، وَعَظَّمَهُ ... جَرَى بِذاكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ القَلَمُ

أيُّ الخَلائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمُ، ... لأَوَّلِيَّةِ هَذا، أَوْ لَهُ نِعَمُ

مَن يَشكُرِ اللهَ يَشكُرْ أَوَّلِيَّةَ ذا؛ ... الدِّينُ مِن بَيتِ هذا نَالَهُ الأُمَمُ

يُنمى إلى ذُرْوَةِ الدّينِ التي قَصُرَتْ ... عَنها الأَكُفُّ، وعن إدراكِها القَدَمُ

مَنْ جَدُّهُ دان فَضْلُ الأَنْبِياءِ لَهُ؛ ... وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دانَتْ لَهُ الأُمَمُ

مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ نَبْعَتُهُ، ... طَابَتْ مَغارِسُهُ والخِيمُ وَالشِّيَمُ

يَنْشَقّ ثَوْبُ الدّجَى عن نورِ غرّتِهِ ... كالشمس تَنجابُ عن إشرَاقِها الظُّلَمُ

من مَعشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ، وَبُغْضُهُمُ ... كُفْرٌ، وَقُرْبُهُمُ مَنجىً وَمُعتَصَمُ

مُقَدَّمٌ بعد ذِكْرِ اللهِ ذِكْرُهُمُ ... في كلّ بَدْءٍ، وَمَختومٌ بِهِ الكَلِمُ

إنْ عُدّ أَهْلُ التّقَى كانوا أَئِمّتَهمْ، ... أَوْ قيل: «من خيرُ أهل الأرْض؟» قيل: هم

لا يَستَطيعُ جَوَادٌ بَعدَ جُودِهِمُ، ... وَلا يُدانِيهِمُ قَوْمٌ، وَإنْ كَرُمُوا

هُمُ الغُيُوثُ، إذا ما أَزْمَةٌ أَزَمَتْ، ... وَالأُسدُ أُسدُ الشّرَى، وَالبأسُ محتدمُ

لا يُنقِصُ العُسرُ بَسطاً من أَكُفِّهِمُ؛ ... سِيّانِ ذلك: إن أَثْرَوْا وَإنْ عَدِمُوا

يُستدْفَعُ الشرُّ وَالبَلْوَى بِحُبّهِمُ، ... وَيُسْتَرَبّ بِهِ الإحْسَانُ وَالنِّعَمُ

الأدب العباسي

يُعَدُّ العصر العباسي أزهى العصور العربية حضارة ورقياً، وأطولها زمناً، إذ امتد حتى سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، حين تمكن هولاكو المغولي من اجتياح بلاد العراق والشام والقضاء على الدولة العباسية في بغداد التي دامت ما يزيد على خمسة قرون.

الشعر:

شهدت بواكير العصر العباسي نبوغ عدد وفير من الشعراء المبدعين الذين اتسمت أشعارهم بملامح الجدة وانطوت على رواء الحداثة، وبدا جلياً أن الغلبة لم تعد لمنازع القديم ونماذجه الموروثة، وهكذا أخذت الأنظار تتجه إلى بشار بن برد، وأبي نواس، وأبي العتاهية، ومسلم بن الوليد، والحسين ابن الضحاك، وعلي بن الجهم، وأمثالهم ممن فاضت قرائحهم بشعر جديد بات مهوى أفئدة الجيل. وقد تجلى هذا الانعطاف على لسان أبي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ/٧٧٠م) وطبقته المحافظة من الرواة واللغويين الذين كانوا قيمين على حركة النقد والتأليف حين قال: «قد حسن هذا الشعر وكثر، حتى لقد هممت بروايته».

ثم توالى ظهور الشعراء النوابغ في العصر العباسي المديد، ومنهم أبو تمام، والبحتري، وابن الرومي، وابن المعتز، ودعبل، ومن بعدهم أبو الطيب المتنبي، وأبو فراس الحمداني، والشريف الرضي، وأبو العلاء المعري، وسواهم، وكان أن اتسع مجال القول، وارتقت أساليب التعبير وعرف الشعر العربي أزهى عهوده.

أغراض الشعر:

حرص شعراء العصر العباسي ونقاده بوجه عام على أن يدور شعرهم في فلك الأغراض الموروثة، وأن تنتسج أغراضه على منوال الفحول المتقدمين. فحافظ المديح على منزلته السالفة تبعاً لارتباطه الوثيق ببلاط الخلفاء والملوك، ومجالس الأمراء والولاة، ولكونه السبيل الأول للحظوة عند أولي الأمر، والطريق الأقصر لبلوغ الشهرة المنشودة.

المديح:

وكما اقترن شعر المديح بالموقف السياسي في العصر الأموي، حين كان للخليفة شعراؤه الذين يمدحونه وينالون عطاياه، بقي الحال على هذا الغرار في ظل الحكم العباسي، فاصطنع خلفاؤه شعراء موالين لهم لزموهم في حلهم وترحالهم، وخصوهم بمدائحهم وذادوا عن حقهم في حكم المسلمين. وقد ظهر في عهد الخلفاء الأوائل عدد وفير من هؤلاء الشعراء مثل بشار وأبي العتاهية والسيد الحميري وأبي

نواس والفضل الرقاشي وسلم الخاسر وأبي دلامة ومروان بن أبي حفصة ومطيع بن إياس وأشجع السلمي ومنصور النمري.

وقد غاص عدد من الشعراء عهدئذ في حمأة السياسة وخاضوا بشعرهم معركة ولاية العهد بني الأمين والمأمون، فانتصر بعضهم لهذا وبعضهم لذاك في قصائد تداخلت فيها المعاني المدحية والآراء السياسية.

كذلك ظل الشاعر في العصر العباسي حريصاً على رسم الخصال الرفيعة والقيم المثلى في شخصية الممدوح، إذ ما زالت سجايا الكرم والشجاعة، والحلم والحزم، والنجدة والمروءة، والعفة والشهامة، موضع إجلال المجتمع العربي الإسلامي. ومضى الشعراء يبدون أضرب البراعة والفن ضمن هذا الإطار الرحيب من الصفات الأصيلة المثلى. وكان ما قام به ملوك بني العباس وقادتهم وولاتهم من جلائل الأعمال، وتصديهم لخصوم الدولة المتمردين عليها في الداخل، ولأعدائها المتربصين بها في الخارج، خير ما أثار قرائح الشعراء وأذكى مدائحهم بعناصر البطولة والبأس. وقد تجلى ذلك لدى الشاعر أبي تمام (ت٢٣١هـ/٨٤٦م) الذي ارتفع ببعض قصائده إلى مستوى يقارب الملاحم، وآخى فيها بين شعر المديح وشعر الحرب، مقدماً بذلك للأدب العربي نموذجاً جديداً متطوراً من الشعر الحماسي الأصيل.

وعلى هذا الغرار مضى أبو الطيب المتنبي (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م) بعد قرون من الزمان، مشيداً بانتصارات سيف الدولة الحاسمة ومعاركه المظفرة في قتال دولة الروم المتاخمة.

غير أن موضوع المديح لم يبرأ من بعض العيوب التي شابتها في هذا العصر، وفي مقدمتها المبالغة والتهويل، فلم يعد ما قاله الأوائل مثلاً في صدد شعر زهير بن أبي سلمى من أنه «لم يكن يمدح الرجل إلا بما فيه» منحى مطلقاً، بل أسرف الشعراء على أنفسهم في ذلك، وغالوا أحياناً في إسباغ الصفات الخارقة على ممدوحيهم.

ومن هذا القبيل قول أبي نواس في الأمين:

وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق

الهجاء:

أما الهجاء، وهو الغرض الذي يقابل عادة غرض المديح، فقد انعطف في مساره عما كان عليه في العصر الأموي، فخفتت فيه نزعة تحقير الخصم بسبب وضاعة أصله ونسبه، أو خمول مكانة أبيه وجده، أو ضآلة شأن عشيرته وقبيلته. إذ لم تعد للأنساب تلك الأهمية البالغة التي كانت لها في سالف العهد، بعد هود حدة العصبيات القبلية وانصهار أكثر القبائل في بوتقة المجتمع المتحضر الحديث. فتركز الهجاء أو

كاد، في إبراز المعايب الشخصية اللاصقة بذات المهجو وما تنطوي عليه نفسه من مثالب. وهذا المنحى أدخل في رحاب التصوير والفن، وأبعد عن مجال القذف والشتم.

وكثيراً ما كانت المهاجاة تستعر بين الشعراء أنفسهم فيكثر في قصائدهم ذكر المثالب والمعايب، وقد يتجاوزون الحدود إلى التحقير والتسفيه. وقد عرف بذلك بشار بن برد وأبو نواس وأبو عيينة المهلبي وابن الرومي ودعبل الخزاعي وعبد الصمد بن المعذل، حتى إن الأمر بلغ ببعضهم حد التعرض للخلفاء أنفسهم، شأن الشاعر الهجاء دعبل (ت٢٤٦هـ/٨٦٠م) الذي لم يتورع عن هجاء هارون الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق. وقد قرن الخليفتين الأخيرين معاً في قوله:

خليفة مات لم يحزن له أحد وآخر قام لم يفرح به أحد

الرثاء:

أما غرض الرثاء فمن الطبيعي أن تظل له منزلته السامية في النفوس لانبثاقه من عاطفة الحزن الواري في كل زمان ومكان. غير أن فن الرثاء ارتقى في هذا العصر، واكتسب غنى وعمقاً، بفضل شعراء كبار أبدعوا فيه وفي سائر أغراض الشعر، وفي طليعة شعراء الرثاء أبو تمام الذي قيل عنه «مداحة نواحة»، ومن بعده ابن الرومي الذي عرف برثاء أولاده.

كذلك افتن الشعراء في هذا الغرض تبعاً لتشابك العلاقات الاجتماعية في ذلك العصر، وتوطد صلاتهم مع أولي الأمر. إذ لم يمت خليفة ولا وزير، ولا قائد ولا عظيم، إلا رثوه رثاء حاراً وأبّنوه تأبيناً رائعاً، مبرزين في قصائدهم كل ما كان يتحلى به الفقيد في حياته من مناقب وما كان له من فضل.

وكم ألمت بهذا العصر العباسي المديد أحداث جائحة وفتن طاغية وجدت لها في النفوس صدى أليماً وتجلت على ألسنة الشعراء مراثي دامعة. وحدث أن اجتاح الزنج البصرة في فتنة هوجاء حين زحفوا إليها من ظاهر المدينة، فاستباحوها وأعملوا فيها يد التخريب والتنكيل. وراع هذا النبأ الفاجع ابن الرومي فقال في رثاء المدينة المنكوبة قصيدة تعد من أروع الشعر مطلعها:

ذاد عن مقلتي لذيذ المنام شغلها عنه بالدموع السجام

ولم يكن هذا النمط من رثاء المدن معهوداً في الشعر العربي،ولكن أحوال ذلك العصر المتفجر اقتضت مواكبة الشعر لها. ولعل هذه القصيدة باكورة رثاء الممالك الذي أخذ في الظهور فيما بعد ولاسيما إثر سقوط بغداد بيد التتار القساة، وإثر تساقط دويلات المسلمين في الأندلس بيد الفرنجة.

وقد تستدعي حقيقة الموت من الشاعر أن يتأمل في طبيعة الحياة وحال الدنيا، فيكون له من ذلك

نظرات وآراء،ولاسيما بعد أن تشبع الشعراء بأفكار ثقافات أغنت معارفهم وعقولهم، ومن هذا القبيل كثير من شعر أبي العتاهية في الوجود والعدم، والحياة والموت، والبقاء والفناء.

ولأبي العلاء المعري (ت٤٤٩هـ/١٠٥٨م) فلسفة أعمق في هذا الصدد تبعاً لغنى فكره ونفاذ بصيرته، حين عمد إلى رثاء صديقه الأثير أبي حمزة الفقيه في قصيدته المشهورة التي مطلعها:

غير مجد في ملتي واعتقادي شغلها عنه بالدموع السجام

فقد استطاع أبو العلاء أن يحلق في أجواء علوية سامية وينظر من خلالها إلى الكون والحياة نظرة كلية شاملة وبذلك ارتفع في رثائه من نطاق الحادثة الفردية المحدودة إلى رحاب الإنسانية الشاملة.

كل ذلك يعني أن هذه المراثي تغاير في كثير من ملامحها معهود شعر الرثاء الذي يغلب عليه النواح وتبلل قوافيه الدموع.

الغزل:

وقد اكتسب الغزل في العصر العباسي غنى ومضاء لارتباطه بعاطفة الحب الغلابة في النفس الإنسانية. وأقبل الشعراء إقبالاً كبيراً علىالنظم فيه، فكثر كثرة بالغة وازدهر ازدهاراً واسعاً. غير أن الاتجاهين اللذين غلبا في العصر الأموي وهما الغزل العفيف والغزل الصريح لم يسيرا في العصر العباسي على ذلك النحو المتوازن. فقد أخذ الغزل العفيف في التضاؤل، في عصر تكاثرت فيه النحل والآراء، واحتدمت المنازع والأهواء، وقلما عرف المجتمع العباسي طائفة من شعراء الحب النقي الطاهر كالذين عرفتهم من قبل بوادي الجزيرة وربوع الحجاز، مثل قيس بن ذريح وجميل بن معمر وعروة بن أذينة. ولعل العباس بن الأحنف وقلة من أمثاله الشعراء الذين تعذبوا في عشقهم يمثلون بقية ذلك المنحى، وإن لم يبلغوا فيه شأو العذريين قبلهم. فالعباس بن الأحنف (ت١٩٢هـ/٨٠٨م) قصر شعره، أو كاد، على التغني بعاطفته ومشاعره.

واشتهر البحتري بالغزل، لما اتسمت به ألفاظه من سهولة ورقة وعباراته من عذوبة وسلاسة، وقد أحب علوة الحلبية، وقال فيها جل غزله.

وغزل الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ/١٠١٦م) على تأخر عهده من أبرز الشواهد على نبل الشعور وعفة اللسان، فضلاً عن سمو مكانة ورفعة نسب، وقصائده الجميلة التي اشتهرت بالحجازيات نفثات شجية أثارت كوامن نفسه المضطربة.

خصائص الشعر:

اتسع مجال القول على صعيد الشعر والنثر في أدب العصر العباسي، تبعاً لاتساع مناحي الحياة

وتشعبها في هذا الطور المتألق من حضارة العرب. فتكاثرت الموضوعات التي تناولها الشعراء فضلاً عن الأغراض الشعرية التي نظموا فيها. من ذلك توسعهم في وصف مشاهد الطبيعة المختلفة، مثل وصف الربيع لأبي تمام وللبحتري وكذلك ما وصف به أبو الطيب المتنبي شعب بوان في بلاد الفرس.

وأوغل شعراء هذا العصر في وصف الأيك والحمائم، والرياض والحياض، والأزهار والثمار، حتى حفلت دواوين البحتري وابن الرومي وأبي بكر الصنوبري وأمثالهم بهذه الأوصاف الجميلة التي انطوت على التشبيهات الطريفة والألوان البهيجة.

ومن الموضوعات الجديدة على هذا الصعيد الشعبي وصف ابن الرومي لبسطاء الناس وكادحيهم، وما كان يمتاز به بعضهم من براعة في مهنتهم، كوصفه للخباز وللحمال وقالي الزلابية.. في مقطعات شعرية حافلة بالصور الطريفة.

ولعل في طليعة ما طرأ على معاني الشعر العباسي من تطور، على صعيد آخر، أنها جنحت للرقة والعذوبة، بفضل غلبة الحضارة وانصقال الأذواق، واتسمت في جانب منها بالابتكار والعمق، تبعاً لنضج العقل العربي وتوسع آفاقه. كذلك امتازت معاني الشعر بالجدة والطرافة بعد أن قيض لها شعراء أفذاذ عرفوا بقوة فنهم وشدة براعتهم وسعة ثقافتهم. وكان لشعر الغزل وشعر الوصف نصيب واف من ملامح الحداثة التي أغنت الشعر العربي وزادته رونقاً وبهاء.

وتجلى الإبداع الشعري في هذا العصر من خلال اختراع المعاني وابتكار الصور ونفاذ الرؤية.

وغلب على جانب من الشعر فكر الفلاسفة وعلماء الكلام، واقتحمته ألفاظهم واصطلاحاتهم، كالجوهر والعرض والشك واليقين، مثل شعر أبي العتاهية الذي ينم على آثار المانوية الفارسية وعقيدتها الثنائية:

لكـل إنسـان طبيعتـان

خير وشر وهما ضـدان

وكل شيء لاحق بجوهره

أصغره متصل بأكبره

أو مثل شعر بشار الذي تظهر فيه أصداء مذاهب العصر وأفكاره مثل قضية الجبر والاختيار:

طبعت على ما فيَّ غير مخير

هواي ولو خيرت كنت المهذَّبا

أريد فلا أعطى، وأعطى ولم أرد

وقصر علمي أن أنال المغيبا

على أن هذا المنحى في التحديث لم يرق المحافظين الذين تمسكوا بعمود الشعر التقليدي، ونهج القصيدة الموروث، إذ الشعر في رأيهم لا يحتمل وطأة الحقائق الذهنية المجردة، والإصطلاحات الفلسفية المعقدة، والمنطق الذهني الصارم. ورأى البحتري في مثل ذلك بدعة في الأدب لم يعرفها فحول المتقدمين، ولم يجنح إليها امرؤ القيس إمام الشعراء:

كلفتمـونا حـــدود منطقكـم والشعر يغني عن صدقه كذبه

أعلام الشعر: حفل العصر العباسي بعدد وفر من الشعراء الأعلام لم يحظ بمثلهم أي عصر آخر ومنهم:

بشار بن برد، وأبو نواس، وأبو العتاهية، ومسلم بن الوليد، وأبو تمام، ودعبل الخزاعي، والبحتري، وابن الرومي، وابن المعتز، وأبو فراس الحمداني، والمتنبي، والشريف الرضي، وأبو العلاء المعري، وابن الفارض.

النثر

ضروب النثر:

الخطابة:

نشطت الخطابة السياسية في مطلع هذا العصر، إذ اتخذتها الثورة العباسية أداتها في بيان حق بني العباس في الخلافة. وكان من خطباء هذا العصر خلفاؤه الأوائل مثل أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور والمهدي والرشيد، وآل بيتهم ومنهم داوود بن علي وإخوته عبد الله وسليمان وصالح وأبناؤهم. وقد وصفهم الجاحظ بأنهم «لم يكن لهم نظراء في أصالة الرأي وفي الكمال والجلالة... مع البيان العجيب والغور البعيد. وكانوا فوق الخطباء وفوق أصحاب الأخبار».

وخطبهم، لا تكاد تختلف من حيث شكلها ومضمونها عن الخطابة في صدر الإسلام والعصر الأموي، إذ غدا من مقتضيات الحياة السياسية العربية أن يشهر اللسان في مثل هذه الأحوال إلى جانب السلاح.

ولما تم الأمر لبني العباس وقضوا على أعدائهم الأمويين خفتت حدة القول، ولم يعد ثمة ما يحفز الخطباء على التصدي للناس، واصطناع الترهيب والترغيب.

كذلك ضؤلت الخطابة في الجيوش بعد أن انقضى عهد الفتوح، وصار الكثير من الجنود من الجيش الإسلامي نفسه من الأعاجم، فرساً أو تركاً، لا يفقهون العربية ولا يتأثرون ببلاغتها. ولم يعد للخطابة في النفوس بوجه عام ما كان لها من منزلة في عصر الراشدين والأمويين، حين كانت الفن العربي الأصيل الذي كان قوامه البديهية والارتجال. وهكذا انحسرت الخطابة في ضحى العصر العباسي، وكاد شأنها يقتصر على فئة الوعاظ وأئمة المساجد، ولم تعد تتجاوز في غالب الأحوال نمط الخطابة الدينية.

الكتابة:

وكان من البديهي تبعاً لذلك، ولاسيما في هذا الطور المتحضر، أن تحل الكتابة، مع توالي الأيام محل الخطابة، وأن يقوم كتاب الدواوين ومدبجو الرسائل بتحبير القراطيس وإعداد التقارير. ثم تشعبت أشكال التعبير، لتغدو أقدر على استيعاب مناحي الفكر المتعددة ومنازع الحياة المتجددة.

كانت الترجمة إحدى ضرورات الحركة العلمية التي نشطت بفضل فئة نابهة من الأعاجم يتألف معظمها من السريان والفرس. وبذلك انصبت في بحيرة الثقافة العربية جداول شتى، مختلفة المذاق من تلك الثقافات الوافدة. وعادت حركة النقل بالخير على لغة العرب الأصيلة وأدت إلى ازدهار أنماط من النثر، كالنثر الفني والأدبي،والنثر العلمي، والنثر الفلسفي. وغدت الكتابة وعاء لعلوم العصر الكثيرة ومعارفه الغزيرة، بعد أن دخل العرب عوالم التدوين والتأليف والترجمة من أوسع الأبواب. وليس الغرض هنا التوقف عند الكتابة الديوانية التي شاع أمرها في الأوساط الرسمية والإدارية، مما يتصل بشؤون البلاغات والبيانات، والمواثيق والصكوك، والتولية والعزل.

غير أن ما يعني الباحث منها هو نمط معين لعله أدخل في فن الأدب وهو المعروف بالتوقيعات، أي العبارات الوجيزة التي كان يعلق بها خلفاء بني العباس الأوائل على موضوع رفع إليهم، أو قضية في أيديهم، فيذيلون ذلك بقلمهم ويمهرونه بتوقيعهم. وكان طبيعياً في هذا الصدد أن تقصر الجملة وتختصر العبارة، تبعاً لضيق وقت الخليفة وغزارة المعروض عليه. من هذا القبيل ما وقع به الخليفة أبو جعفر لأهل الكوفة في ذيل رسالة تظلم تجاه واليهم: «كما تكونوا يولَّ عليكم». وما وقع به هارون الرشيد إلى عامله في خراسان وقد شكا إليه سوء الأحوال: «داو جرحك لا يتسع»، وما وقع به المأمون لوال فاسد: «قد كثر شاكوك، وقل شاكروك. فإما اعتدلت، وإما اعتزلت...».

ومثل هذه العبارات المقتضبة أشبه ما تكون بجوامع الكلم التي امتاز بها فصحاء العرب الأوائل

الذين اتسموا بالحرص على الإيجاز، وهي على أية حال منسوجة على منوال أنقى عبارات البلغاء.

أما النثر الأدبي الحقيقي فلم يتوطد إلا بفضل الكاتب المنشئ عبد الله بن المقفع (ت١٤٢هـ/٧٥٩م) بعد أن تسلم شعلة هذا الفن من صديقه الناثر الرائد عبد الحميد الكاتب، الذي لقي مصرعه في إثر الثورة العباسية، ولم يقيض له المضي إلى شوط أبعد في هذا المضمار. فقد تجلى فن النثر في أدب الرسائل أول الأمر في نهايات العصر الأموي وبدايات العصر العباسي، فكتب ابن المقفع رسائله على غرار رسائل عبد الحميد، وهي مقالات طوال تتناول موضوعاً معيناً، لعل أشهرها «رسالة الصحابة» أي في آداب الصحبة والمعاشرة والسلوك، ولاسيما مصاحبة السلطان والولاة، والحكام والقادة، والأعوان والبطانة. ثم ما للرعية والجند من حقوق يجب عطاؤها، وما عليهم من واجبات ينبغي أداؤها، فرسالة الصحابة، وهي بمنزلة خطاب مفتوح إلى الخليفة، ذات صبغة سياسية – إدارية، تهتم بشؤون الحكم وسياسة الدولة.

إن فن الرسالة لا يختلف في جوهره عن فن الخطابة إلا من حيث الحجم، فللخطبة حيز محدود من الزمان على حين قد تطول الرسالة لتقرأ بأناة وتمعن. فهما نمطان أو لونان من النثر الأدبي، فقد درج العرب على أن يكتبوا الرسالة في المقصد الكبير، ويلقوا الخطبة في الحدث الجليل. ويمكن القول مع ذلك أن الكتابة انتسجت على منوال الخطابة، وإنه على طريق الخطباء مشى الكتاب، حتى غدت الكتابة آخر الأمر الوريث الشرعي للخطابة.

وما لبث ابن المقفع أن خطا خطوة أخرى في مضمار النثر الأدبي الوليد حين دبج كتابيه الصغيرين «الأدب الصغير»، و«الأدب الكبير»، وهما في واقع الأمر أشبه برسالتين مطولتين، أو هما بتعبير آخر بمنزلة جسر بين الرسالة المحدودة والكتاب النثري الشامل.

أما كتاب «كليلة ودمنة» الذي نقله ابن المقفع إلى العربية من لغة قومه البهلوية، فيعد لبنة أساسية وكبيرة في صرح النثر العربي الزاهر. وهو مثال بارز على ظاهرة تمازج الثقافات ولاسيما بين الآداب الهندية والفارسية والعربية. ومع أن الكتاب أعجمي الأصول وليس من إبداع العرب في معظمه، فقد انتزع إعجاب الأدباء والنقاد، برغم انتمائه إلى وثنية الهنود ومانوية الفرس. فأقاصيص كليلة ودمنة تضع قارئها في جو محبب، تتعانق فيه الحقيقة والخيال، في تآلف معجب شائق،حافل بالطرافة والغرابة، حيث الحيوانات الناطقة تملأ ربوعه وجنباته، بالحركة والحياة. ومن خلال الحديث بين كليلة وأخيه دمنة ينعقد الحوار المعهود، وتتوالى الأقاصيص واحدة في إثر واحدة، آخذاً بعضها برقاب بعض: فالحيوانات هي وحدها الشخصيات التي تدور من حولها الأحداث، ولكن هذه الحيوانات في الوقت نفسه كائنات تمثل البشر، وهو نماذج من الناس تحس وتفكر، وتحب وتبغض، وتنجح وتخفق.. إنها في حقيقة الأمر رموز للناس في خيرهم وشرهم، وقوتهم وضعفهم، وفطنتهم وغبائهم، وسعادتهم وشقائهم.

وإزاء فيض العلوم وازدهار المعارف في ضحى العصر العباسي حفل المجتمع الإسلامي بأعداد وفيرة من العلماء والكتاب والقصاصين والوعاظ والمؤرخين والفقهاء وعلماء الكلام والفلسفة والمفسرين والمشرعين وأعلام الفكر وأنباه التأليف... واتسعت لذلك كله مناحي القول، ونشط الحوار، وحمي الجدال.

وكان الجاحظ (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) أبرز ممثل لهذا الخضم الزاخر على صعيد الفكر الأدبي، وفي مجال الترسل والتأليف. وكتابه «البيان والتبيين» مرآه جلية وأمينة للحياة الأدبية الحافلة عند العرب، بما انطوت عليه من روائع الشعر وبدائع النثر وطرائف الأخبار. وكتابه «البخلاء» صورة متألقة لنماذج بشرية انطوت نفوسها على سمات وملامح برع الجاحظ في سبر أغوارها ورسم معالمها، وتصوير منازعها. وكتابه «الحيوان» نمط طريف بين موضوعات لم تكن معهودة لدى المؤلفين، فعالم الحيوان عالم واسع فسيح الأرجاء اقتحمه الجاحظ مزوداً بثقافة موسوعية عريضة، ونظر فاحص ثاقب، وفكر نقدي ناضج.

وغدا طبيعياً في هذا العصر أن تكون الطوابع الذهنية غالبة في أكثر أنماط الكتابة ومضامينها، لأن النثر أصلاً وعاء العقل، والشعر ترجمان الشعور. فنشطت كتابات العلماء والفلاسفة والفقهاء وكذلك رؤوس الفرق من معتزلة ومرجئة وشيعة، وأيضاً المجوس والزنادقة والملاحدة. وفي غمار هذه الحياة الفكرية الموارة والبيئة الحضارية الحافلة، اشتد الحوار وحمي التناظر واحتدم الجدال، ولاسيما ما دار بصدد قضايا مهمة كالشعوبية والزندقة ومسائل خلق القرآن والجبر والاختيار... وقد اكتسب بعض هذه المناظرات شهرة واسعة وطابعاً حاسماً، كالذي احتدم في أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بين الخوارزمي وبديع الزمان.

كذلك امتد هذا المنحى إلى الأدباء والنقاد فظهرت كتب جمة اتخذت من الموازنة بين الشعراء محوراً لها، ككتاب الحسن بن بشر الآمدي (ت٣٧١هـ/٩٨١م) في «الموازنة بين الطائيين»: أبي تمام والبحتري، وكتاب القاضي الجرجاني (ت٣٩٢هـ/١٠٠١م) في «الوساطة بين المتنبي وخصومه».

واتخذت ظاهرة الموازنة بين أمرين أشكالاً كثيرة وتناولت موضوعات متنوعة،ومنها اهتمام المتكلمين بالموازنة بين مساوئ الديك ومحاسنه، وبين منافع الكلب ومضاره، أو المفاضلة بين الديك والطاووس. وفي خضم هذه الحياة الفكرية بدا أن الحقيقة غدت نسبية وأنه يمكن أن يكون لكل قضية وجهان، وفي كل مسألة قولان، وشاع لدى بعضهم أن يؤيد موضوعاً ويثبته، وأن يدحضه في الوقت نفسه وينقضه، وذلك فيما يشبه المنحى السفسطائي. من ذلك ما ترويه بعض كتب الأدب من أن الخليفة في مجلسه طلب مرة من أحدهم أن يصف له كأساً كانت في يده، فما كان منه إلا أن قال: «أبمدح أو بذم؟»، فقال الخليفة: «صفها بمدح» قال: «تريك القذى وتقيك الأذى» ومضى على هذا الغرار من ذكر محاسنها، وحين طلب إليه أن يصفها بذم، وصفها بقوله: «سريع كسرها، بطيء جبرها» مصوّراً على التو معايبها.

وكان لمثقفي الولاة والوزراء تأثيرهم في إذكاء هذه الروح من تشجيع التباري والتنافس، فالوزير أبو عبد الله العارض يقول للكاتب أبي حيان التوحيدي (ب٤١٠هـ/١٠١٩م): «أحب أن أسمع كلاماً في مراتب النظم والنثر، وإلى أي حد ينتهيان، وعلى أي شكل يتفقان. وأيهما أجمع للفائدة، وأرجع بالعائدة، وأدخل في الصناعة، وأولى بالبراعة». وقد أورد أبو حيان في كتابه «الإمتاع والمؤانسة» صورة من هذه المفاضلة المسهبة. ولا ريب في أن هذه الحركة الفكرية الدائبة التي اتخذت عهدئذ من النثر وعاء رحيباً لها كانت مبعث اهتمام المناطقة والمتكلمين ومهوى أفئدة الناشئة والمتأدبين.

على أن ارتقاء أساليب النثر في ظل ازدهار الحياة العقلية استتبع تكاثر المصطلحات المستحدثة كالهيولى والصورة والجوهر والعرض والحد والعنصر، والألفاظ الدخيلة مثل الترياق والآيين والاسطقس.. وكان متوقعاً إزاء فيض الأفكار الجديدة والألفاظ الدخيلة والأسماء الغريبة ألا تنطوي بعض النصوص والكتابات على اليسر المعهود، وأن يستغلق فهمها أحياناً على مدارك الكثيرين من أوساط الناس، حين كانت تصدمهم مظاهر التعقيد وملامح الغموض فيما يسمعون ويقرؤون. وكما ضاق البحتري ذرعاً في هذا العصر مزج حدود المنطق وقضايا الذهن في فن الشعر، واستنكر أحد الأعراب ما سمعه في مجلس بعض النحاة فقال ساخراً متعجباً: «أراكم تتكلمون بكلامنا، في كلامنا، بما ليس في كلامنا».

ثم مضى الناثرون على هذا الصعيد من تدبيج كتاباتهم والتأنق في عباراتهم إلى المدى الأقصى، وذلك في أواخر القرن الرابع الهجري، وما تلاه من قرون. فجدّوا في طلب الزخرفة والتنميق. ولم يقتصر طلب السجع والزخرف على أصحاب المقامات بل كاد يشمل ذلك معظم الأدباء والناثرين. وقلما نأى كاتب منشيء في العهود العباسية المتأخرة عن هذه المظاهر التزيينية في النثر العربي. فأبو العلاء المعري في كتابه «الفصول والغايات» الذي كاد يقصره على مناجاة الخالق بعبارات طافحة بالغرابة اللفظية ومثقلة بالسجع الممجوج: «أقسم بخالق الخيل، والعيس الواجفة بالرحيل، تطلب بموطن جليل، والريح لهابة بليل، بين السوط ومطامع سهيل، إن الكافر لطويل الويل، وإن القمر لمكفوف الذيل، شعر النابغة وهذيل، وغناء الطير على الغيل...».

ولم يحل القرن السادس الهجري حتى غلب التصنع على النثر العربي وبسط طابعه على معظم النتاج الأدبي في ذلك العصر. ولعل ما يبعث على الرضى أن بعض أنماط الكتابة النثرية لم تنجرف مع هذا المد التعبيري المتكلف، بل ظلت بريئة إلى حد بعيد من معظم هذه القيود اللفظية والزخارف البديعية، إلا قليلاً من السجع بين الألفاظ وبعضاً من التوازن بين الجمل فحافظت كتب المؤلفين ومصنفات العلماء بالإجمال على الأسلوب المرسل ولاسيما مؤلفات النقد الأدبي والتراجم والتاريخ وتقويم البلدان ونحوها. وخير مثال على هذا الترسل ما كتبه أبو الفرج الأصفهاني وعبد القاهر الجرجاني... وامتد هذا المنحى النثري المطلق

إلى ما بعد العصر العباسي، وتجلى في نثر ابن خلدون وأمثاله من أصحاب الأسلوب المرسل.

أعلام النثر

ظهر في هذا العصر عدد من الكتاب والمؤلفين منهم ابن المقفع، والجاحظ، وابن قتيبة، وأبو الفرج الأصفهاني، وابن العميد، وأبو حيان التوحيدي، وبديع الزمان الهمذاني، والحريري.

أبو العلاء المعرّيّ (٣٦٣هـ-٤٤٩هـ)

هو أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري، شاعر وفيلسوف ولغوي وأديب عربي من عصر الدولة العباسية، ولد في معرة النعمان في الشمال السوري وإليها يُنسب وتوفي فيها. لُقب برهين المحبسين، أي: محبس العمى، ومحبس البيت؛ وذلك لأنه قد اعتزل الناس بعد عودته من بغداد حتى وفاته.

حياته:

ولد المعري في معرة النعمان (في سوريا حالياً التي استمد اسمه منها)، ينتمي لعائلة بني سليمان، التي بدورها تنتمي لقبيلة تنوخ، جده الأعظم كان أول قاضٍ في المدينة، وقد عرف بعض أعضاء عائلة بني سليمان بالشعر، فقد بصره في الرابعة من العمر نتيجة لمرض الجدري. بدأ يقرأ الشّعرَ في سن مبكرة حوالي الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره في بلدته معرة النعمان، ثم ذهب للدراسة في حلب وأنطاكية، وغيرها من المدن السورية. فدرس علوم اللغة والأدب والحديث والتفسير والفقه والشعر على نفر من أهله، وفيهم القضاة والفقهاء والشعراء، وقرأ النحو في حلب على أصحاب ابن خالويه، ويدل شعره ونثره على أنه كان عالماً بالأديان والمذاهب وفي عقائد الفرق، وكان آية في معرفة التاريخ والأخبار. وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة. أخذ المعري النحو وشعر المتنبي عن محمد بن عبد الله بن سعد النحوي. وهو أحد رواة شعر المتنبي.

وزاول مهنة الشاعر والفيلسوف والمفكر الحر. حيث سافر المعري إلى وسط بغداد لمدة من الزمن، حيث جمع عدداً كبيراً من التلاميذ الذكور والإناث للاستماع إلى محاضراته عن الشعر والنحو والعقلانية. وإحدى الموضوعات المتكررة في فلسفته كانت حقوق العقل (المنطق) ضد إدعاءات العادات والتقاليد والسلطة.

كان على جانب عظيم من الذكاء والفهم وحدة الذهن والحفظ وتوقد الخاطر، وسافر في أواخر سنة ٣٩٨ هـ ١٠٠٧م إلى بغداد فزار دور كتبها وقابل علماءها. وعاد إلى معرة النعمان سنة ٤٠٠هـ، وشرع في التأليف والتصنيف ملازماً بيته، وكان اسم كاتبه علي بن عبد الله بن أبي هاشم. عاش المعري بعد اعتزاله زاهداً في الدنيا، معرضاً عن لذاتها، لا يأكل لحم الحيوان حتى قيل أنه لم يأكل اللحم ٤٥ سنة، ولا ما ينتجه من سمن ولبن أو بيض وعسل، ولا يلبس من الثياب إلا الخشن. حتى توفي عن عمر يناهز ٨٦ عاماً، ودفن في منزله بمعرة النعمان.

شعره:

كان شعر أبو العلاء من أبرز الأشعار، حيث كان يطال جميع الأعمار، فكان الجميع يستمتعون بالقائه، والاستماع إليه، وبقي كذلك حتى هذا اليوم، أما عن حكمته، فكل سطر في أشعاره كان ينم عن حكمة بارزة في مجال الشعر، ومجال الحياة بصفة عامة، وكانت أغلب أشعاره تعنى باللزوميات. تحدث العديد من المؤرخين عن شعره، واستطاع أن يتناول الأفكار والمقترحات التي قدمت بشكل جميل.

موضوعات أشعاره:

تناول الشاعر أبو العلاء المعري العديد من الموضوعات التي تهم المجتمع بصفة عامة، فهو تحدث عن المرأة، وعن الطلبة، وعن البيوت وما يوجد بها، وعن كل ما يدور حول الأفراد من أحداث كان يذكرها في أشعاره، حتى أنه لقب بالشاعر الاجتماعي؛ نظراً لاهتمامه بتصنيف الإنسان على مختلف حياته بصفة عامة.

أعماله الأدبية:

من أعماله الأدبية الشهيرة ما يأتي:

١- رسالة الغفران: وهي أكثر أعماله جدلاً، ومن أكثر الكتب التي حظيت اهتماماً غربيّاً، تحكي الرسالة عن رحلة شخصيته ابن القارح إلى العالم الآخر، إذ إنّ جميل صنعه وحسن سيرته وبلاغة كلامه ترفعه إلى الجنّة، فيدخلها واصفاً الجنة بالاعتماد على المصاجر الإسلامية من القرآن والسنة، فيلتفي بالشعرء هناك، ويبادلهم المساجلات الشعرية ويستمع منهم جميل الشعر. ثم ينزل إلى الجحيم ليقابل الشعراء هناك، إلا أنّه في طريقه إلى الجحيم يمرّ بقرى الجن، فيتعرّف شياطين الشعراء الذين يلهمونهم الشعر، فيبادلهم الشعر ويستمع إليهم. ما أن يصل إلى الجحيم حتى يلتقي بالشعراء هناك، فيستمع لهم ويسامرهم، ثمّ يود إلى الجنة ليستمتع بالنعيم. تأثر الكثير من الأدباء العالميين بالأسلوب الرائع الذي نسق فيه المعرّي هذه الأعجوبة، ومن أشهر من أخد عنه الشاعر الإيطالي دانته أليغييري ومثّلها بكتابه العالمي (الكوميديا الإلهية)، فصوّر الجحيم والنعيم وطبقاتهما.

٢- ديوان اللزوميّات: أو ما عُرف باسم ديوان لزوم ما لا يلزم، وصف فيه المعرّي حياة الناس وطبيعتهم الإنسانية، إلا أنّ أفكاره المتشائمة وروح الزهد كانت ظاهرة واضحة. تحدّث في هذا الديوان عن العقل والعلم والحياة، وما يواجهه الإنسان في مجتمعه من سرّاء وضرّاء، وبيان كيفية التعاطي مع هذه المشكلات.

٣- ديوان سقط الزند: وهو أول عمل أدبي ألّفه المعرّي، قلّد فيه الشعراء السابقين، ولا سيّما لمتنبي، إذ كان يحظى هذا الشاعر بمكانة خاصّة لديه.

٤- رسالة الملائكة: أجرى في هذه الرسالة حواراً بين الملائكة. رسالة الفصول والغايات. رسالة الصاهل والشاحج. فقرات وفترات الأيك والغصون في الأدب وهي كتاب يزيد على مائة جزء. تاج الحرة في النساء وأخلاقهن وعظاتهن ويتكوّن من أربع مئة كراس.

٥- عبث الوليد: شرح به ديوان البحتري ونقده.

٦- معجز أحمد (يعني أحمد بن الحسين المتنبي).

٧- شرح اللزوميّات.

٨- شرح ديوان الحماسة.

٩- ضوء السقط، ويعرف أيضاً بالدرعيات.

قصيدة تعب كلها الحياة

إنّ من روائع قصائد العرب هي قصيدة أبي العلاء المعري الفلسفيّة، التي تصفُ أصل الوجود ومغازيه الظاهرة والخفيّة، وخلاصة فكر المعري في الموت والحياة، فالقصيدة كغرض شعريّ تصنّف في المراثي، فقد كتبها المعري في رثاء الفقيه الحنفيّ أبي حمزة، وقد قال فيها طه حسين: «نعتقد أنّ العرب لم ينظّموا في جاهليتهم وإسلامهم، ولا في بداوتهم، وحضارتهم قصيدة تبلغ مبلغ هذه القصيدة في حسن الرثاء» في هذه القصيدة يصور المعري الحياة مجرّدة بلا بهرجات، خالية من المعنى والعمق، والغريب أنّ تصويره هذا هو ما يعطي مظاهر الحياة والموت نفسها التي يصفها العمق والروح، إلا أنّها روح مثقلة بالفراغ واللاجدوى، ويعتمد الصدق في التعبير، فهو يقدّم خواطره وحكمته بجرأة وعمق، يقول أبو العلاء:

غـيرُ مجـدٍ في ملّـتي واعـتـقـادي ... نـــوح بـاكٍ ولا تـــرنم شـــادِ

وشبيهٌ صوت النعيّ إذا قِيس ... بـصـوت الـبـشـير في كـلّ ناد

أبَكَت تلكم الحمامة أم غنّت ... عـلـى فِـــرْعِ غُـصـنِـهـا المـيّـاد

صـاحِ هـذي قُـبـورُنا تملأ الرُحبَ ... فـأيـن الـقـبـور مـن عـهـد عـاد

خـفّـف الـوَطْءَ مـا أظـنّ أَدِيْمَ الـ ... أرض إلا مـن هـذه الأجـسـاد

وقـبـيـحٌ بـنـا وإنْ قَـدُم الـعـهـدُ ... هـــوانُ الآباء والأجـــداد

سِرْ إن اسطعت في الهواءِ رُوَيداً لا اختيالاً على رُفات العباد
رُب لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحكٍ من تزاحم الأضداد
تعبٌ كُلّها الحياةُ فما أعـ جبُ إلا من راغبٍ في ازدياد
إنّ حزناً في ساعة الموت أضعاف سرورٍ في ساعة الميلاد

النقد

لقد ظهر النقد بعد الأدب، فالأدب مادة النقد، ولكن ما أهميته؟ ربما هذا هو السؤال الذي طرحه أحدهم حين ذاق درعاً من مشاكسة النقاد وردهم للنصوص التي اعتقدها جيدة. قال قائل لخلف الأحمر: «إذا سمعت أنا بالشعر واستحسنته فما أبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك؟ فقال له إذا أخذت أنت درهما واستحسنته فقال لك الصراف أنه ردي؛ هل ينفعك استحسانك له».

النقد في اللغة:

١- تمييز الدراهم وغيرها.

٢- نقدها ينقدها نقداً وانتقاداً، وتنقدها ونقده إياها نقداً: أعطاه إياها فانتقدها أي: قبضها، ونقدت له الدراهم أي أعطيته إياها، أي قبضها.

٣- ناقدت فلاناً إذا ناقشته في الأمر.

٤- نقد الشيء ينقده نقداً: إذا نقره بإصبعه.

٥- نقد شيئاً من الطعام أي يأكل منه شيئاً يسيراً.

٦- نقد الرجل الشيء: نظره. ونقد إليه اختلس النظر نحوه.

٧- نقد فلان فلاناً: اغتابه وأعابه، أي: ذكر عيوب الشخص. ولا يقتصر على الشخص فقط بل على الشيء كذلك

النقد في الاصطلاح:

ونخص به نقد الأدب، وهو: البحث عن أسباب الاستحسان والاستهجان، واستخلاص عناصر الجمال، وتبيين سمات القبح بتجرد من الهوى ونفي التعصب، وبتقرب أكثر إلى الموضوعية؛ بغرض تقويم العمل الأدبي وتقييمه. فلم يكن النقد الأدبي مكتوباً كما هو الحال اليوم، وإنما كان شفهياً، وأبرز مثال على ذلك هو سوق عكاظ، حيث كان الشاعر يلقي ما لديه من جديد الشعر على أسماع الناس فينقدونه، وفي ذلك شكل من أشكال النقد الأدبي.

موضوعية النقد:

بما أن الذات الإنسانية تجنح إلى تقويم الأشياء وتقييمها فإن النقد أول ما بدأ كان يعتمد على الذوق ولذا كان سهلاً وانطباعياً، لكن الأذواق تختلف وما يجده هذا جيداً قد لا يجده الآخر كذلك؛ ولهذا وجب استعمال مناهج علمية توحد عملية الدراسة النقدية لتكون موضوعية. وإن كان الوصول إلى الموضوعية الكاملة أمراً مستحيلا إلا أن الطريقة النقدية لا بدَّ من أن تشارك العلم نظرياً –ولو نسبياً– ما دامت ترتكز إليه.

النقد في الجاهلية:

كان يعقد للنقد الأدبي في الجاهلية أماكن معينة مثل مجلس التحكيم في سوق عكاظ الذي كان شعراء العربية يعرضون فيه قصائدهم على بعض شيوخ الشعر ممن اكتسب شُهرة في الشعر وذاع صيته بين الناس، ومن الأمثلة التي وصلت إلينا والتي تبين أسلوب النقد الأدبي للقصيدة ونهجه هي قصة تأريخية حدثت بين حسان بن ثابت والخنساء حين حضرا مجلس النابغة الذبياني فأنشد حسان بين يدي النابغة قوله في ميمية له:

لنا الجفنات الغرُّ يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما

فقال له النابغة: والله إنك لشاعر لكن، لو أنك قلت جفان بدل جفنات لكان أبلغ؛ حيث إن جفان جمع كثرة وجفنات جمع قلة،

ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أحسن من يلمعن بالضحى؛ لأن الضيوف يكثرون بالليل، ولو قلت يجرين بدلاً من يقطرن لدلت على غزارة الدم، وحبذا لو فخرت بمن ولدت وليس بمن ولدك.

فقال حسّان والله إني لأشعر منك ومنها يعني الخنساء، فقال النابغة يا ابن أخي إنك لا تُحسِنُ أن تقولَ مثل قولي:

وإنك كالليل الذي هو مُدركي وإن خِلتُ أنَّ المُنتأى عنكَ واسِعُ

وهذا تصوير لسبل النقد في الجاهلية.

و خلاصة النقد في العصر الجاهلي أنه كان نقداً يسيراً يقتصر على نقد أبيات معينة وليست القصيدة بأكملها، ويكون في الأولية نقد الشاعر لنفسه، وتبقى قصيدتة معه حولاً يعيد قراءتها وترتيبها. وأنه نقد لا يستند إلى معايير فنية بل يستند للعرف أحياناً وللذوق الخاص والغريزة أحياناً أخرى.

القسم الثالث
دراسة في آية من القرآن الكريم

آية الإرث من سورة النساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١) وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ} (النساء: ١١-١٢).

سبب النزول

لما مات «عبد الرحمن بن ثابت الأنصاري» -أخو حسان بن ثابت الشاعر المعروف في صدر الإسلام- وقد خلف امرأة وخمسة أخوان، اقتسم اخوانه ميراثه بينهم ولم يعطوا زوجته شيئاً مما تركه من المال، فشكت ذلك إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنزلت الآيات الحاضرة التي تبين وتحدد سهم الأزواج من الإرث بنحو دقيق.

ونقل عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: مرضت فعادني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأغمي علي، فطلب النبي ماء وتوضأ لبعضه وصبَّ بعضه الآخر عليَّ فأفقت فقلت: يا رسول الله كيف أصنع في مالي (أي كيف يجب أن يكون أمره من بعد وفاتي) فسكت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يقل شيئاً، فنزلت آية المواريث تبين نظام الإرث وتحدد أسهم الورثة.

وقد حرر الإسلام قانون الإرث الطبيعي الفطري مما علق به من الخرافات، ولحق به من رواسب التمييز العنصري الظالم الذي كان يفرق بين الرجل والمرأة حيناً، وبين الكبار والأطفال حيناً آخر، وجعل ملاك التوارث في ثلاثة أمور لم تكن معروفة إلى ذلك الحين:

١- النسب وذلك بمفهومه الوسيع، وهم كل علاقة تنشأ بين الأشخاص بسبب الولادة في مختلف المستويات من دون فرق بين الرجال والنساء والصغاروالكبار.

٢- السبب وهي العلاقات الناشئة بين الأفراد بسبب المصاهرة والتزاوج.

٣- الولاء وهي العلاقات الناشئة بين شخصين من غير طريق القرابة.

(السبب والنسب) مثل ولاء العتق، يعني إذا أعتق رجل عبده، ثم مات العبد وخلف من بعده مالاً ولم يترك أحداً ممن يرثونه بالسبب أو النسب، ورثه المعتق، وفي هذا حث على التحرير والإعتاق، وكذلك ولاء ضمان الجريرة، وهو أن يركن شخص إلى آخر -لا سبب بينهما ولا نسب- ويتعاهدان أن يضمن كل منهما جناية الآخر ويدافع كل منهما عن الآخر، ويكون إرث كل منهما للآخر، و ''ولاء الإمامة'' يعنى إذا مات أحد ولم يترك من يرثونه ممن ذكر ورثه الإمام (عليه السلام)، أي إن أمواله تنتقل إلى بيت المال الإسلامي، وتصرف في شؤون المسلمين العامة. ولكل واحدة من هذه الطبقات أحكام وشرائط خاصة مذكورة في الكتب الفقهية المفصلة.

التفسير

قال الله تعالى في الآية الأولى من هذه الآيات (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين)؛ وهو بذلك يشير إلى حكم الطبقة الأولى من الورثة (وهم الأولاد والآباء والأمهات)، ومن البديهي أنه لا رابطة أقوى وأقرب من رابطة الأبوة والبنوة ولهذا قدموا على بقية الورثة من الطبقات الأخرى. ثم إن من الجدير بالاهتمام من ناحية التركيب اللفظي جعل الأنثى هي الملاك والأصل في تعيين سهم الرجل، أي أن سهمها من الإرث هو الأصل، وإرث الذكر هو الفرع الذي يعرف بالقياس على نصيب الأنثى من الإرث إذ يقول سبحانه: وللذكر مثل حظ الأنثيين، وهذا نوع التأكيد على توريث النساء ومكافحة للعادة الجاهلية المعتدية القاضية بحرمانهن من الإرث والميراث، حرماناً كاملاً.

ثم يقول سبحانه وتعالى: فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك أي لو زادت بنات الميت على اثنتين فلهن الثلثان أي قُسِّم الثلثان بينهن. ثم قال وإن كانت واحدة فلها النصف أي لو كانت البنت واحدة ورثت النصف من التركة. هذا مضافاً إلى ورود مثل هذا التعبير في الأدب العربي، إذ يقول العرب أحياناً '' فوق اثنتين ''ويكون مرادهم هم ''اثنتان فما فوق''. وبغض النظر عن كل ما قيل أن الحكم المذكور من الأحكام القطعية المسلمة من وجهة نظر الفقه الإسلامي والأحاديث الشريفة، والرجوع إلى السنة المطهرة (أي الأحاديث) كفيل برفع أي إبهام في الجملة المذكورة إن كان.

إرث الأب والأم: وأما ميراث الآباء والأمهات الذين هم من الطبقة الأولى، وفي مصاف الأبناء

أيضا، فإن له كما ذكرت الآية الحاضرة (أي الآية الأولى من هذه المجموعة) ثلاث حالات هي:

الحالة الأولى: إن الشخص المتوفى إن كان له ولد أو أولاد، ورث كل من الأب والأم السدس: ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد. **الحالة الثانية:** إن لم يكن للمتوفى ولد، وانحصر ورثته في الأب والأم، ورثت الأم ثلث ما ترك، يقول سبحانه: فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث، وإذا كنا لا نجد هنا أي ذكر عن سهم الأب فلان سهمه واضح وبين وهو الثلثان، هذا مضافاً إلى أنه قد يخلف الميت زوجة فينقص في هذه الصورة من سهم الأب دون سهم الأم، وبذلك يكون سهم الأب متغيرا في الحالة الثانية. **الحالة الثالثة:** إذا ترك الميت أباً وأماً وإخوة من أبويه أو من أبيه فقط، ولم يترك أولاداً، ففي مثل هذه الحالة ينزل سهم الأم إلى السدس، وذلك لأن الإخوة يحجبون الأم عن إرث المقدار الزائد عن السدس وإن كانوا لا يرثون؛ ولهذا يسمى إخوة الميت بالحاجب، وهذا ما يعنيه قول الله سبحانه: فإن كان له إخوة فلأمه السدس. وفلسفة هذا الحكم واضحة، إذ وجود إخوة للميت يثقل كاهل الأب، لأن على الأب الإنفاق على إخوة الميت حتى يكبروا، بل عليه أيضاً أن ينفق عليهم بعد أن يكبروا، ولهذا يوجب وجود إخوة للميت من الأبوين أو من الأب خاصة، تدني سهم الأم، ولا يوجب تدني سهم الأب، ولا يحجبونها عن إرث ما زاد على السدس إذا كانوا من ناحية الأم خاصة، إذ لا يجب لهم على والد الميت شئ من النفقات، كما هو واضح.

الإرث بعد الوصية والدين: إن الله سبحانه يقول: من بعد وصية يوصي بها أو دين فلا بد من تنفيذ ما أوصى به الميت من تركته، أو أداء ما عليه من دين أولاً، ثم تقسيم البقية بين الورثة.

ثم قال سبحانه: آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً، وهذه العبارة تفيد أن قانون الإرث المذكور قد أرسى على أساس متين من المصالح الواقعية، وأن تشخيص هذه المصالح بيد الله، لأن الإنسان يعجز عن تشخيص مصالحه ومفاسده جميعاً، فمن الممكن أن يظن بعضهم أن الآباء والأمهات أكثر نفعاً لهم، ولذلك فهم أولى بالإرث من الأبناء وإن عليه أن يقدمهم عليهم، ومن الممكن أن يظن آخرون العكس، ولو كان أمر الإرث وقسمته متروكاً إلى الناس لذهبوا في ذلك ألف مذهب، ولآل الأمر إلى الهرج والمرج والفوضى، وانتهى إلى الاختلاف والتشاجر، ولكن الله الذي يعلم بحقائق الأمور كما هي أقام قانون الإرث على نظام ثابت يكفل خير البشرية ويتضمن صلاحها، ولأجل أن يتأكد كل ما ذكر من الأمور، ويتخذ صفة القانون الذي لا يحتمل الترديد، ولا يكون فيه للناس أي مجال نقاش، يقول سبحانه: فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً؛ وبذلك يقطع الطريق على أي نقاش في مجال القوانين المتعلقة بالأسهم في الإرث.

سهم الأزواج بعضهم من بعض: في الآية السابقة أشير إلى سهم الأولاد والآباء والأمهات، وفي الآية التي تليها يقول الله سبحانه: ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد ويشير سبحانه إلى كيفية إرث الزوجين بعضهما من بعض، فإن الزوج يرث نصف ما تتركه الزوجة إذا لم يكن للزوجة ولد، فإن كان لها ولد أو أولاد (ولو من زوج آخر) ورث الزوج ربع ما تتركه فقط، وإلى هذا يشير تعالى في الآية نفسها: فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن، على أن هذا التقسيم يجب أن يتم بعد تنفيذ وصايا المتوفاة، أو تسديد ما عليها من ديون كما يقول سبحانه: من بعد وصية يوصين بها أو دين. وأما إرث الزوجة مما يتركه الزوج، فإذا كان للزوج أولاد (وإن كانوا من زوجة أخرى) ورثت الزوجة الثمن لقوله سبحانه: فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم. ويكون لها الربع إن لم يكن للزوج الميت ولد لقوله سبحانه: ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد، واللافت على أن هذا التقسيم يجب أن يتم أيضا من بعد تنفيذ وصايا الميت أو تسديد ديونه من أصل التركة: من بعد وصية توصون بها أو دين. والملفت للنظر في المقام هو انخفاض سهام الأزواج إلى النصف إذا كان للميت ولد؛ وذلك رعاية لحال الأولاد. ثم إن هاهنا نقطة مهمة يجب التنبيه إليها أيضاً، وهي أن السهم المعين للنساء (سواء الربع أو الثمن) خاص بمن ترك زوجة واحدة فقط (فإنها ترث كل الربع أوكل الثمن) وأما إذا ترك الميت زوجات متعددة فيقسم ذلك السهم (الربع أو الثمن) بينهن بالتساوي، وهذا هو ما يدل عليه ظاهر الآية مورد البحث أيضا.

إرث إخوة الميت وأخواته: ثم أنه سبحانه بعد أن يذكر سهم الأزواج بعضهم من بعض، يعمد إلى ذكر أسهم إخوة الميت وأخواته فيقول: وإن كان رجل يورث كلالة.

وفي هذه العبارة نواجه مصطلحاً جديداً ورد في موضعين من القرآن فقط، أحدهما: في الآية المبحوثة هنا، والآخر، في آخر آية من سورة النساء وهي كلمة «كلالة»؛ إن ما يستفاد من كتب اللغة هو اشتقاق كلالة من الكلال، وهو ذهاب القوة، فقد جاء في صحاح اللغة: الكلالة في الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة. ولكنها استعملت في ما بعد في إخوة الميت وأخواته الذين يرثونه، ولعل التشابه بين المعنى الأول والثاني هو أن الإخوة والأخوات يُعدَّون من الطبقة الثانية في طبقات الإرث، وهم لا يرثون إلا مع عدم وجود الأب والأم والأولاد للميت، ومثل هذا الفاقد للأب والأم والأبناء لابد أن يعاني من الضعف الشديد، وذهاب القوة، ولهذا قيل له كلالة، قال الراغب في كتابه المفردات: ''الكلالة اسم لما عدا الولد والوالد من الورثة''. وروي أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سئل عن الكلالة، فقال: من مات وليس له ولد ولا والد، فجعله اسماً للميت؛ فكلا القولين صحيح فإن الكلالة مصدر يجمع الوارث والموروث جميعاً. وأما تعبير القرآن الكريم عن إخوة الميت وأخواته بالكلالة فلعله لأن على أمثال هؤلاء ممن عدموا الآباء والأمهات والأولاد أن يعلموا أن أموالهم ستقع من بعدهم في أيدي من

يمثلون ضعفه، ويدلون على ذهاب قوتهم، ولذلك ينبغي لهم أن يصرفوها في مواضع أكثر ضرورة ولزوماً، وينفقونها في سبيل المحتاجين وفي حفظ المصالح العامة. يقول الله سبحانه تعالى: وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس، أي إن مات رجل ولم يترك إلا أخاً أو أختاً، أو ماتت امرأة ولم تترك سوى أخ أو أخت، يورث كل منهما السدس من التركة، هذا إذا كان الوارث أخا واحداً وأختاً واحدة.أما إذا كانوا أكثر من واحد ورث الجميع ثلثا واحدا، أي قسم مجموع الثلث بينهم: فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث. ثم أضاف القرآن: من بعد وصية يوصى بها أو دين، أي تكون قسمة الميراث هكذا بعد أن ينفذ الورثة من التركة ما أوصى به المتوفى، أو يسددوا ما عليه من ديون، ثم قال: غير مضار أي فيما إذا لم يكن ما أوصى الميت بصرفه من الميراث وكذا الدين مضراً بالورثة، أي أن لا يكون أكثر من الثلث؛ لأن تجاوز الوصية أو الدين عن حد الثلث إضرار، وأنه يتوقف إمضاء الزائد على الثلث على إذن الورثة ورضاهم بذلك، أو أن يخبر الميت عن ديون كذبا، ليحرم ورثته عن الإرث ويضر بهم، كما نصت على ذلك روايات كثيرة مروية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام). ثم أنه سبحانه للتأكيد على هذا الحكم يقول: وصية من الله والله عليمٌ حكيمٌ أي إن هذا المطلب وصية من الله يجب أن تحترموها، لأنه العالم بمصلحتكم وخيركم، فهو أمركم بهذا عن حكمة، وأنه تعالى عالم بنيات الأوصياء، هذا مع أنه تعالى حليم لا يعاقب العصاة فوراً، ولا يأخذهم بظلمهم بسرعة.